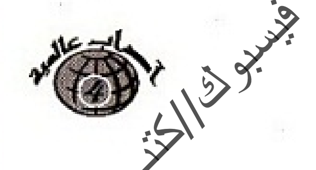


وزارة الثقافة

الهيئة العامة السورية للكتاب

ستأخذُنا الريحُ

(مائة قصيدة وقصيدة من الشعر النسوي العالمي)

ترجمة وتقديم : ماجد الحيدر

ستأخُذُنا الريــحُ

آداب عالمية

4



ستأخُذُنا الريحُ

(مائة قصيدة وقصيدة من

الشعر النسوي العالمي)

ترجمة وتقديم

ماجد الحيدر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة دمشق ٢٠١٦م

ستأخذنا الريح مائة قصيدة وقصيدة من الشعر النسوي
العالمي ترجمة وتقديم ماجد الحيدر دمشق الهيئة
العامة السورية للكتاب، ٢٦٤ ص؛ ٢٠ سم
سلسلة آداب عالمية ٤

٨٠٨.٨١ ح ي د س العنوان
الحيدر السلسلة
مكتبة الأسد

مُقَدِّمَة

هذه أضمومة من أزاهير أبدعتها عبقريات عدد من أميرات الشعر العالمي الحديث ولقد أقدمنا على ترجمة هذه المختارات لما لمسناه من أن كثيرا من القراء عموماً لا يعرف إلا النزر اليسير عما قدمته الشاعرات العالميات من إسهامات في أنطولوجيا الشعر العالمي بينما هو على اطّلاع حسن بمبدعات أخريات في مجال القصة والرواية والفن ولسنا في هذا التقديم الموجز في معرض تعريف الأدب النسوي أو مزايا وصفات الشعر النسوي بالتحديد فهناك من هو أقدر مني على التصدي لهذا الموضوع

لكنني أشير الى أننا سنقف في هذه المختارات على نماذج مختلفة من الأساليب الفنية والتوجهات النفسية أو المواقف الفكرية بدءا من الصوفية وانتهاء بالثائرة المتمردة يجمعها كلها انشغال إنساني عميق وإحساس مرهف بالحياة بأحزانها وأفراحها، بآمالها وقسوتها، بجمالها ومظالمها، كل ذلك بعين المرأة الذكية المرهفة التي لا تخطئ التفاصيل بقي أن نحيل إلى أننا نقلنا هذه القصائد عن الإنكليزية فيما عدا قصائد الشاعرة فروغ فرغزاد التي نقلناها عن الفارسية وطابقناها بعدد من الترجمات الإنكليزية



-١-

مايا أنجلو

Maya Angelou

(١٩٢٨-٢٠١٤)

مايا أنجلو: شاعرة وكاتبة وممثلة وراقصة ومخرجة ومغنية وناشطة سياسية أمريكية. ولدت مايا أنجلو (واسمها الحقيقي مارغريت آن جونسن) في الرابع من نيسان ١٩٢٨ في ولاية ميزوري. ولم تكد تبلغ الثالثة حتى شب الخلاف بين والديها فأرسلت (مشحونةً بالقطار) مع أخيها الذي يكبرها بعام إلى جدتها في ولاية اركنسس لتعود إلى أمها بعد سنوات قليلة وتعاني تجربةً أثرت بعمق على حياتها حيث تعرضت وهي ابنة سبع سنوات إلى اعتداء جنسي من قبل صديق أمها، وحين أخبرت أخاها بذلك انتشر الخبر وحوكم المعتدي وسجن لمدة عام واحد فقط ثم وجد مقتولاً بعد خروجه من السجن - على يد أقربائها كما يبدو- الأمر الذي صدم الصغيرة وأصابها بالبكم والانطواء طيلة خمس سنوات

نتيجة إحساسها بالذنب تجاه مقتله بسبب إفشائها السر كما اعتقدت - فأعيدت إلى جدتها حيث استعادت صحتها بالتدريج وأظهرت تفوقاً دراسيا واضحا واهتماما مبكراً بالمسرح والأدب الشكسبيري بوجه خاص. عملت أنجلو في مطلع شبابها في الكثير من المهن - بعضها في غاية الوضاعة - وانتقلت بين المدن لتقيم أودها وأود ولدها الوحيد الذي أنجبته بُعيد إكمالها الدراسة الثانوية (أصبح شاعراً فيما بعد) وتشق طريقها من خلال التجارب والأخطاء.

بدأت أنجلو مسيرتها الفنية في مطلع الخمسينات حيث درست الرقص في نيويورك وشاركت في الرقص والتمثيل والغناء في فرق استعراضية وجابت في أواسط الخمسينات في اثنين وعشرين بلداً لتقديم عروض الأوبرا وظهرت في العديد من البرامج التلفزيونية وشاركت في تأسيس فرقة راقصة أنتجت أعمالاً ريادية مازجت فيها بين الرقص الحديث والباليه والرقص القبَلي لغرب أفريقيا، ثم انتقلت إلى نيويورك لتنضم إلى جماعة هارلم الأدبية وعملت في الصحافة السياسية والكتابة والتمثيل للمسرح وتعرفت على العديد من الأدباء والفنانين والناشطين السياسيين في حركة الحقوق المدنية أمثال مارتن لوثر كنج والمناضل الأفريقي «فوزومزي ماكي» الذي عاشت معه فترة وجيزة في جنوب أفريقيا ثم انتقلت وإياه إلى القاهرة حيث عملت في صحيفة «الاويزرفر

العربي الناطقة بالإنجليزية لتنتقل بعدها إلى جامعة غانا حيث حاضرت في مدرسة الموسيقى والدراما هناك، وخلال رحلاتها تلك تعلمت خمس لغاتٍ أجنبية غير لغتها الانكليزية مثل الفرنسية والاسبانية والفانتية في عام ١٩٦٦ عادت إلى لوس أنجلس لتحاضر في جامعة كاليفورنيا وتنضم إلى مالكوم إكس في تأسيس حركة حقوق مدنية جديدة، غير أنه اغتيل بعد فترة وجيزة فعادت إلى التعاون مع كنج الذي اغتيل هو الآخر عام ١٩٦٨ كل هذه الأحداث دفعتها إلى كتابة الجزء الأول من سيرتها الذاتية الشهيرة الذي ظهر عام ١٩٦٩ وكان بعنوان أعرف لماذا يغني الطائر الحبيس مما أكسبها اعترافاً وإطراءً عالمياً حفزاها على كتابة خمسة أجزاء أخرى لتصبح بهذا واحدة من أشهر وأفضل كتاب السيرة الذاتية في أمريكا والعالم، نظراً لصورها المبدعة الحافلة بالحياة وأسلوبها المجدد الصريح الذي مزجت فيه بين السيرة الذاتية والخيال والرواية والشعر مما وضع أعمالها تلك في خانة السيرة الذاتية الروائية

وأنجلو شاعرة غزيرة الإنتاج؛ فقد رشحت مجموعتها الشعرية الأولى أعطني كأس ماءٍ باردٍ فأنا أموت والتي ظهرت عام ١٩٧١ لنيل جائزة البولتزر؛ ثم تلتها العديد من المجموعات منها أرجوك، جناحاي سيلائماني ـ ١٩٧٥ و وما زلتُ أعلو ـ ١٩٧٨ و لن أتزحزح ـ ١٩٩٠ والكثير غيرها ـ كما اختارها بيل

كلنتون لإلقاء قصيدتها الشهيرة على نبض الصباح في حفل تنصيبه عام ١٩٩٣ لتكون ثاني شاعر يلقي قصيدة في حفل تنصيب رئاسي منذ ظهور الشاعر العظيم روبرت فروست في حفل تنصيب كندي عام ١٩٦١

كتبت الموسيقى التصويرية للعديد من الأفلام والمئات من القصائد والمقالات والقصص القصيرة والأغاني وسيناريوهات الأفلام والمقطوعات الموسيقية وعملت أيضا مخرجة ومنتجة وكاتبة في السينما والإذاعة والتلفزيون، وترشحت لجائزة عن دورها في المسلسل الشهير الجذور كما ألقت المئات من المحاضرات والخطابات ذات الأسلوب الحر الساحر ونالت العشرات من الجوائز والألقاب والدرجات الجامعية الفخرية رغم أنها لم تكمل دراستها الجامعية قط.

حينَ تأتي

عندما تأتي إليَّ، من دونَ دعوةٍ
وتدعوني
إلى غرفٍ موغلةٍ في القِدَم
حيث ترقدُ الذكرياتُ
وتعرِضُ عليَّ، كما على طفلةٍ،
حُجيرةً تحتَ سقف البيتِ،
أضمومةً من أيامٍ نادرة،
حلياً رخيصةً من قبلاتٍ مستَرَقةٍ،
نمنماتٍ من علائقِ حبٍّ مستعارةٍ،
وصناديقَ من كلماتٍ سريةٍ
عندئذٍ أجهشُ بالبكاء

وحيـداً

ليلةَ البارحةِ
رقدتُ وفكّرتُ
كيفَ أعثرُ لروحي
على بيتٍ
لا يعطشُ الماءُ فيهِ
ولا يستحيلُ الرغيفُ إلى حجارة
وقرَّ ذهني على رأيٍ وحيدٍ
ولا أظن أنني مخطئةُ
أنْ لا أحدَ
نعم لا أحد
يمكنه أن يدبر أمره وحيداً

وحيداً وحيداً تماماً
لا أحد نعم لا أحد
يمكنه أن يدبر أمره وحيداً

ثمةَ بعض أصحابِ ملايينِ
لا يستَطيعونَ إنفاقَهُ
نساؤهُم يَطُفْنَ هنا وهناك
كأشباحٍ تنذرُ بالموتِ
وأطفالُهم يغنّونَ
ألحاناً تطفحُ حزينة
يمكنهم أن يجلبوا
أغلى الأطباءِ أجراً
ليداووا قلوبَهم الحجريةَ
لكن لا أحد
نعم لا أحد
يمكنه أن يدبر أمره وحيداً

وحيداً وحيداً تماماً
لا أحد نعم لا أحد
يمكن أن يدبر أمره وحيداً

حسناً   لو أصخت ليَ السمعَ
سأخبُركُ بما أعرفُ
غيومُ الأعاصيرِ تتجمع
والريحُ توشكُ أن تهبَّ
والبشُر يعانون
وها أنا أسمعُ أنينَهُ
لأنه لا أحد
نعم، لا أحد
يمكنه أن يدبر أمره وحيداً

وحيداً   وحيداً تماماً
لا أحد   نعم لا أحد
يمكن أن يدبر أمره وحيداً

أعرفُ لماذا يغني الطائر الحبيس

الطائر الطليقُ يعتلي صهوةَ الريحِ
ويعومُ مع الموجةِ
حتى آخرِ التيارِ
غامساً جناحيهِ في خيوطِ الشمسِ البرتقاليةِ
ويجرؤُ أن يدّعي   أنه يملكُ السماءَ

غيرَ أنَ الطائر الذي
يختالُ في قفصِهِ الصغيرِ
نادراً ما يرى الذي
خلفَ قضبانِ غضبه
جناحاهُ مقصوصانِ   قدماه موثقتانِ
لهذا لا يسعه إلا أنْ
يفتحَ حنجرتَهُ   ويغنّي

الطائر الحبيسُ يغنّي برعشةٍ خائفة

عن أشياءَ لا يعرفُها   لكنهُ يتوقُ إليها
وألحانُه   تُسمَعَ في الهِضابِ القَصيّةِ
ذاك أنّ الطيرَ الحبيس
يغنّي عن الحريّة

الطيرُ الطليقُ
يفكر بنسائمَ أخرى
وعن رياحٍ تمضي برفقٍ
بين أشجارٍ تتنهدُ
عن ديدان سِمانٍ تنتظرُ
على العشبِ اللامعِ
في ضياءِ الفجرِ
ويسمّي السماءَ   سماءه

غيرَ أن الطائر الحبيس
يقفُ على قبرِ أحلامٍ يصرخُ بها ظلّهُ،
على صرخةِ كابوسٍ
جناحاهُ مقصوصانِ   قدماهُ موثقتانِ
فلا يملكُ إلا أنْ

يفتحَ حنجرتَهُ   ويغنّي

الطيرُ الحبيسُ يغنّي برعشةٍ خائفة
عن أشياءَ لا يعرفها   لكنه يتوق إليها
وألحانُهُ   تُسمَعُ في الهِضاب القَصيّة
ذاك أنّ الطيرَ الحبيس
يغنّي عن الحريّة

الأسرةُ البشرية

لقد خبرتُ الفروقَ الجَليّة
في الأسرةِ البشرية
بعضُنا يهشُّ للهُزلِ   وبعضنا
يأخذ الأمور بجدِّية

بعضنا يعلنُ أنه
عاشَ حياتَهُ بعمقٍ   وبعضُنا
يدّعي أنه يعيش حقاً
الحقيقةَ الحقيقيّة

تَدرُّجُ ألوانِ جلودِنا
قد يُربِكُ أو يُذهِلُ أو يُفرِح.
بُنّيّ، ورديٌّ، حنطيٌّ، أرجواني
أسمر، أزرق أو أبيض

مَخرتُ البحارَ السبعَة
ونزلتُ في كلّ أرضٍ
ورأيتُ عجائبَ الدنيا لكنني
لم أرَ إنساناً عادياً

وعرفتُ عشرةَ آلافِ امرأة
يُدعَينَ جين أوماري جين
لكنني لم أرَ اثنتينِ
تماماً وحقاً متشابهتين

المرءُ وتوأمُه في المرآةِ
يختلفانِ رغم اتفاقِ الملامحِ
والعاشقانِ الراقدانِ على سريرٍ واحدٍ
كلٌّ يفكِّرُ بطريقتِهِ

نحبُّ ونُخفِقُ في الصينِ
ونبكي فوقَ السِباخِ الانكليزيةِ
نضحكُ وننوحُ في غينيا
ونُزهِرُ في السواحلِ الإسبانية

نسعى للنجاح في فنلندا
نولدُ ونموتُ في مَاين
في صغارِ الأمورِ نختلفُ
في كبرها نحنُ سواء

قد رأيتُ الفروقَ الجَليَّة
بين الطبائعِ والأجناس
لكن ما بيننا من شَبهٍ يا أصدقاء
يفوقُ ما بيننا من خِلاف

ما بيننا من شَبهٍ يا أصدقاء
يفوقُ مما بيننا من خلاف

ما بيننا من شَبهٍ يا أصدقاء
يفوقُ ما بيننا من خِلاف

---

١ ولاية في الشمال الشرقي للولايات المتحدة

الـدرس

وأواصلُ الاحتضارَ .
تنهارُ الأوردةُ، تنفتحُ
كقبضةِ رضيعٍ غافٍ
ذكرياتُ الأضرحةِ القديمة
والديدانُ
واهتراءُ اللحمِ والعظام
لا تقنعني بهجرِ التحدي
السنونُ والهزيمةُ الباردةُ
ترقدُ عميقا في أخاديدِ وجهي
غير أنني أواصلُ الاحتضارَ
لأنني
أعشَقُ الحياة

الرجـال

عندما كنتُ صبيّةً
كنتُ أراقبُ من وراءِ الستائرِ
الرجالَ الذين يذرعونَ الطريق.
رجالٌ ثملونَ   رجالٌ طاعنونَ
ورجالٌ فتيّونَ   لهم حِدَّةُ الخردَلِ
أنظرُ إليهم   الرجالُ على الدوام
ذاهبونَ إلى مكانٍ ما
كانوا يعلمونَ أنني هناك
في الخامسةَ عشرةَ   جائعةً إليهم
فيقفونَ تحتَ شباكي
وأكتافهُم   ناتئةٌ كنهودِ الصبايا،
وذيولُ معاطفهِم تصفعُ تلكَ المؤخراتِ
الرجالُ
يوماً ما سيمسكونكِ في راحات أيديهم
في رقةٍ   كما لو كنتِ

آخرَ بيضةٍ نيئةٍ في العالم
ثم يشدّون قليلاً
العَصرةُ الأولى لطيفةٌ
عناقٌ سريعٌ
يخرقُ في نعومةٍ
دفاعَكِ الواهي
قليلاً بعدُ   ويبدأُ الألم
فتنتزعينَ ابتسامةً   تسيلُ على حواشي الخوفِ
وحين يختفي الهواءُ
يفرقعُ ذهنكِ   ينفجرُ
بقوّةٍ   لوهلةٍ وجيزة
كرأسِ عودِ ثقاب مطبخيٍّ
ثم يتبعثرُ   إنهُ عصيرُكِ
الذي يسيلُ نازلاً سيقانَهم
صابغاً أحذيتَهم
وحين تعتدلُ الأرضُ من جديد
ويحاولُ الذوقُ أن يعودَ إلى لسانكِ
سيكونُ جسدُكِ قد صُفِقَ
أُغلِقَ للأبدِ

وما مِن مفاتيحَ.
عندها تُغلَقُ الشبابيكُ على عقلكِ
وهناك   خلفَ تأرجحِ الستائرِ
سيسيرُ الرجالُ وهم
يعرفونَ شيئاً ما
ذاهبونَ إلى مكانٍ ما
غير أنني في هذه المرةِ
سأكتفي بالوقوفِ والفُرجةِ
ربما

المُؤَرِّقــة

ثمةَ ليالٍ
يلعبُ النومُ معي
لعبةَ الحَياءِ.. والتحفُّظِ.. والازدراء.
وإذا بكلِّ الخُدَعِ التي ألجأُ إليها
لأكسبَهُ إلى جانبي
بلا جدوى.. مثلَ كبرياءٍ جريحةٍ
بل.. أكثرَ منها ألماً !

أيها الواعظُ، لا تُرسلني إلى

أيها الواعظُ، لا ترسلني حينَ أموتُ
غالى أحد الغيتواتِ الكبيرةِ[1]
في ملكوتِ السماءِ
حيثُ الجرذانُ
تفترسُ قططاً من فصيلةِ النمورِ
ووجباتُ ظهائرِ الآحادِ
نخالةٌ وجَريش.

تلكم الجرذانُ أعرفُها
قد رأيتُها وهي تَقتُلُ.
والجريش الذي أكلتُهُ
يصنعُ تَلاًّ، وربما جبلاً.
ما أريده منك إذن
في ظهائرِ الآحاد

---

(١) الغيتو ghetto: حي مغلق يعيش فيه اليهود أو الأقليات الأخرى.

عقيدةٌ مختلفةٌ

أيها الواعظُ
أرجوكَ ألاّ تَعِدني
بشوارعَ من ذهبٍ
ولبنٍ بالمجّانِ
فقد فُطِمتُ عن كلِّ لبنٍ
حين بلغتُ الرابعةَ
والذهبُ لا أحتاجهُ
بعد أن أموت

سأدعو المكانَ
جنةً خالصة
حيثُ الأهلُ أوفياءُ
والأصدقاءُ لطفاء
والجازُ هي الموسيقى
والفصلُ هو الخريف
فعِدني بذلكَ
أو لا تَعِدني بشيء

على نبض الصباح

ألقتها في حفل تنصيب
بيل كلنتون عام ١٩٩٣

صخرةٌ ونهرٌ وشجرة
استضافوا في زمانٍ سحيقٍ
أجناساً بادَتْ ومَضَتْ
وأصغوا إلى الماستادون[١] والديناصورات
التي خلّفتْ ذكرياتٍ يبيسةٍ
عن مكوثها هنا
على أرضيةِ كوكبنا هذا،
وقد ضاعَ في عتمةِ الأحقابِ والغبارِ
كُلُّ إنذارٍ صريحٍ عن هلاكِها الوشيك

لكن الصخرةَ تنادينا اليوم

---

١ الماستادون. حيوان بائد شبيهٌ بالفيل

بقوةٍ.. بجلاء:
تعالوا.. لكم أن تقفوا فوق ظهري
وتجابهوا مصيرَكُمُ البعيدَ.
لكن لا تبحثوا عن ملاذٍ في ظِلّي
فلن أمنحَكُم تحتي.. مكاناً للاختباء

أنتم يا من خُلِقتُم دونَ الملائكةِ بقليلٍ
أقعيتُمْ طويلاً في الظُلمةِ الجارحةِ
ورقدتُمْ مديداً ووجوهُكُم
مُمرَّغةٌ في الجَهالةِ
وأفواهُكُم تنثُرُ كلماتٍ.. تسلّحَتْ للقتلِ.
الصخرةُ تصرخُ بنا اليومَ:
قفوا فوقي ولكن.. لا تخبِّئوا وجوهَكُم.

عبرَ سورِ العالمِ
ثمةَ نهرٌ ينشدُ أغنيةً جميلةً:
تعالوا استريحوا إلى جانبي.
كلٌّ منكم قُطرٌ ذو حدود
كلٌّ رقيقٌ وفخورٌ على نحوٍ غريبٍ

لكنّهُ مُقحَمٌ أبداً.. تحتَ الحصار.
صراعكم المسلّحُ من أجلِ الربح
خلّفَ فوقَ ضفتَيَّ أطواقاً من النفاياتِ
وأمواجاً من القمامةِ فوقَ صدري.
لكنني اليومَ أناديكم إلى شاطئي
إذا كفَفْتُمْ عن التفكيرِ بالحربِ
هلموا.. اكتسوا بالسلامِ كي أغنّي
الأغنياتِ التي أعطانيها الخالقُ
عندما كنتُ أنا والشجرةُ والصخرةُ.. شيئاً واحداً.
يومَ لم تكنِ السخريةُ قد أصبحَتْ
ندباً دامياً على الجبين
يوم كنتَ.. ما زلتَ تعرفُ..
أنكَ ما زلتَ.. لا تعرفُ شيئاً.
ويمضي النهرُ في الغناء.

«ثمةَ توقٌ صادقٌ للاستجابةِ
لغناءِ النهرِ والصخرةِ الحكيمة»
هكذا يقولُ الآسيويونَ، والهسبانيونَ(١)، واليهودُ

---

(١) الهسبانيون Hispanic: السكان ذوو الأصول الاسبانية أو البرتغالية أو الأمريكية اللاتينية.

والأفارقةُ، والأمريكيونَ الأصليونَ، وهنودُ داكوتا الحمرُ
والكاثوليكُ، والمسلمونَ، والفرنسيونَ، والإغريقُ
والإيرلنديونَ، والأحبارُ، والقساوسةُ، والشيوخُ
والشاذوّنَ، والمستقيمونَ، والواعظونَ
وأصحابُ الامتيازاتِ، والمشرَّدونَ، والمعلِّمون
كلهم يسمعونَ حديثَ الشجرةِ
يسمعونَ أولَ الأشجارِ وآخرَ الأشجارِ
تتحدثُ اليومَ إلى جنسِ البشرِ
تعالوا إليّ، هنا بجوارِ النهر
وازرعوا أنفسَكُم قربي، هنا بجوارِ النهرِ
كلُّ فردٍ منكم، سليلُ مسافرٍ غابرٍ
وقد تلقّى أجرَهُ
أنتم يا من منحتموني أولَ أسمائي
أنتم الباوني والأباتشي والسينيكا [1]
أنتم يا شعبَ الجيروكي الذين مكثوا معي
ثم أُرغِموا على الرحيلِ عني بأقدامٍ مُدماةٍ
ليعملوا لدى باحثٍ يائسٍ عن الثراءِ

---

١ أسماء قبائل من الهنود الحمر

جائعٍ للذهب
أنتمُ التركُ والعربُ والسويديونَ والألمانُ
والإسكيمو والاسكتلنديونَ
أنتم الأشانتي واليوروبا والكرو
المُساقونَ، المُباعونَ، المسروقونَ
القادمونَ على ظهرِ الكوابيسِ
المُصَلّونَ من أجلِ حلمٍ
هلموا أنبتوا جذوركُم قربي
، الشجرةُ المزروعةُ جوارَ النهر
أنا التي لن يزحزحني أحدٌ
أنا الصخرةُ، أنا النهرُ، أنا الشجرةُ
أنا مِلكُ يمينكُم
أسفاركم مدفوعةُ الأجرِ
فارفعوا وجوهَكم أنتم في حاجةٍ موجعةٍ
إلى هذا الصباحِ البهيِّ الذي يشرق من أجلكم
والتاريخُ، برغمِ آلامِهِ القاسيةِ،
لا يمكن ألاّ يُعاشَ، ولكن

---

[١] من شعوب أفريقيا

لو جوبِهَ بالشجاعةِ
لن نُرغَمَ على عيشهِ من جديد

ارفعوا أعينَكم إلى هذا النهار
الذي ينشقُّ من أجلكم
لِدوا الحلمَ من جديد
وخذوه، أيها الرجال والنساء والصغار
خذوه في راحات أكفِّكم
شكِّلوه بأيديكم
على صورةِ أخصِّ حاجاتكم
انحتوه على شكل أكثر نفوسكم شيوعاً
ارفعوا قلوبكم فكل ساعةٍ
حبلى بفرصٍ جديدةٍ لبداياتٍ جديدة
لا توثِقوا أنفسَكُم إلى خوفٍ مستديم
لا تشدوا أرواحك إلى نير الفظاظة
الأفق ينحني للأمام، يعرضُ عليكم
فسحةً لخطواتٍ جديدة
وهنا، على نبضِ هذا النهارِ الرائقِ
قد تملكونَ الشجاعةَ

كي تلتفتوا إلي وتعتبروا بي وتبحثوا عنّي
أنا الصخرةُ والنهرُ والشجرةُ وبلادكم
لا يقل في هذا متسولٌ عن ميداس
أو أنتَ عن ذلك الماستادون
هنا، على نبضِ هـ النهارِ الجديدِ
قد تملكُ نعمةَ أنْ تطلَّ على أختكِ
أن ترعاها أن تنظرَ في عيونها
وفي وجهِ أخيك في وجهِ بلادكَ
وتقولَ بأ ل ببساطةٍ
بأشدِّ ساطة
صبـ ح الخير

ميداس. ملك فريجيا الذي منحه الإله ديونيسوس القدرة على تحويل ما يلمس إلى ذهب

من ابنٍ إلى أمّه

أنا لا أشنُّ حروباً
لا أمطرُ سموماً على الكاتدرائيات
ولا أنيبُ نجماتِ داودَ
لأصنعَ منها صنابيرَ ذهبيةً
تضيئها مصابيحُ
وتظلّلُها جلودُ الآدميينَ

أنا لا أشيدُ مخازنَ
في أراضٍ غريبةٍ
لا أرسلُ البعثاتِ خارجَ حدودي
لأنهبَ الأسرارَ
وأقايضَ الأرواحَ

هم
يقولون أنكِ سلبتِني رجولتي

يا أماه

فتعالي إلى أحضاني

وأخبريني ماذا تريدينَ أن أقولَ لهم

قبلَ أن أمحقَ جهالتهِم



-٢-

اليزابيث باريت براوننغ

Browning, Elizabeth Barrett

(١٨٠٦-١٨٦١)

شاعرة إنكليزية، ومفكرة سياسية، وناشطة نسوية. ولدت براوننغ في «دورهام» شمالي شرقي إنكلترا وتلقت تعليما خاصا. في عام ١٨٢٦ نشرت "مقالاً عن العقل وقصائد أخرى" غفلا من التوقيع. وظهرت عام ١٨٣٣ ترجمتها لمسرحية "بروميثيوس مقيدا" للكاتب الإغريقي «آيسخولوس» فلاقت استحساناً كبيراً. وبعد خمسة أعوام عبرت في مؤلفها «الملاك الأعظم وقصائد أخرى» عن آرائها المسيحية في قالب من الميثولوجيا الإغريقية. عانت الشاعرة من عجز جسماني طيلة عقد كامل بعد عام ١٨٣٨ بسبب اعتلال رئوي وضرر في الحبل الشوكي أصابها في طفولتها، لكنها واظبت على الكتابة ونشرت عام ١٨٤٤ مجموعة شعرية ضمت "صرخة الأطفال" و"غزل الليدي جيرالدين" مع طبعة أمريكية قدم لها «إدغار ألن بو». لاقت هذه الأشعار من الترحيب والاستحسان ما دفع البعض إلى ترشيحها

شاعرة للبلاط «poet laureate» خلفا لوليام وردزوورث عند وفاته سنة ١٨٥٠.

كان عام ١٨٤٥ نقطة تحول حاسم في حياتها حين بدأ الشاعر روبرت براوننغ (الذي يصغرها بستة أعوام) يكتب إليها ممتدحا شعرها. وسرعان ما تحول الأمر إلى علاقة حب عميق قوبلت برفض شديد من والدها، فاضطر العاشقان إلى الهرب إلى إيطاليا والاستقرار في فلورنسا حيث استعادت إليزابيث صحتها وأنجبت ابنا وهي في الثالثة والأربعين.

في عام ١٨٥٠ نشرت مجموعتها "سونيتات برتغالية" وهي قصائد حب أهدتها إلى زوجها وكانت قد كتبتها في السر قبل زواجها. يعد النقاد هذه السونيتات (وهي من أكثر قصائد الحب اشتهارا في الأدب الإنكليزي) أفضل ما كتبت هذه الشاعرة.

عبرت براوننغ في العديد من قصائدها عن تعاطفها مع طموح الإيطاليين إلى الوحدة، كما خصصت أطول أعمالها وأكثرها طموحا وهي Aurora Leigh للدفاع عن حق المرأة في الحرية الفكرية والتعبير عن هموم المرأة الأديبة والفنانة، وقد تعرض النقاد حديثا إلى هذا العمل وأعيد تقييمه وحظي بتقدير متجدد.

آلـةٌ موسـيقيـةٌ

بانُ العظيمُ(١)
ماذا كانَ يفعلُ
هناكَ عندَ النهرِ؟
إذ ينشرُ الخرابَ
إذ ينثرُ اللعناتِ
إذ يخوضُ في الماء
يرشرشهُ.. بحوافرِهِ الماعزية
ويبدد الزنابقَ الذهبيةَ

---

(١) Pan (بان) هو إله الرعاة وقطعان الماشية في الميثولوجيا الإغريقية وهو المسؤول عن خصوبتها. كان له جذع إنسان وذراعاه ولكن برجلي الماعز وأذنيه وقرنيه. يروي "هيرودتس" إن يان ظهر لأحد المحاربين الإغريق عشية معركة الماراثون الشهيرة مع الفرس ووعده بمؤازرتهم وعرفانا بجميله بنى له أهل أثينا مزارا في معبد الأكروبولس الشهير. تعزو اليه الأسطورة اختراع الناي من قصبة استلها من حزمة من القصب كانت في الأصل حورية هاربة من مطاردته الغرامية.

لتطفو مع اليعاسيبِ
على صفحةِ النهر ؟
* *
بان العظيم
انتزعَ ساقَ قصبٍ
من قاع النهر البارد العميق
فتعكرَّ الماءُ الزلالُ
والزنابقُ المحطَّمةُ رقدتْ ميتةً
وفرَّتِ اليعاسيبُ
إذ جرجَرهُ من الماء
* *
بان العظيم
على الجرفِ جلس
أمامه النهرُ المتعكرُ
ومضى يقطعُ وينجُرُ
كما يجدرُ بإله عظيم
ويهوي بسكينِهِ الصلبةِ الباردة
على القصبةِ الصابرةِ
حتى اختفتْ آخرُ وريقةٍ

تشي بأنها قُطِعتْ من النهر تواً

بان العظيم
صيَّرها قطعةً صغيرة
كم كانت طويلة في أحضان النهر
وأخرجَ لبَّها
بيدينِ ثابتتينِ
مثل قلبِ إنسان
وفي الشيءِ الأجوفِ اليابسِ المسكينِ
شقَّ الثقوبَ
وهو جالسٌ عند النهر

إنها الطريقةُ الوحيدةُ"
ضحكَ بانُ العظيمُ
ضحكَ وهو جالس عند النهر
إنها الطريقة الوحيدة
التي ينجحون بها
مذ همَّتِ الآلهةُ
بصنعِ عذبِ الموسيقى

وأدنى فمَهُ من أحد الثقوب
ونفخَ في قوة
هناك   عند النهر

جميل جميل جميل
جمالٌ يخرقُ الأفئدةَ
جمالٌ يُغشي الأبصارَ
أوه، يا بانُ العظيم
الشمسُ على التلال
نسيتْ أن تغيب
والزنابقُ عادتْ للحياةِ
واليعاسيبُ عادت
لتحلمَ عند النهر

لكن بانَ العظيم
إذ يضحكُ جالساً عند النهر
ليصنعَ شاعراً من الإنسانِ
ليسَ إلا نصفَ بهيمةٍ
ونصفَ إله

أما الآلهةُ الخالصةُ
فتحسرتْ على الألمِ والثمنِ
وعلى القصبةِ التي
لن تنموَ من جديد
كشقيقاتها
هناك   عند النهر

إن كان لزاماً أن تعشقني

إن كان لزاماً أن تعشقني
ليكنْ ذلكَ لغيرِ ما شيء
إلا لأجلِ الحبِّ وحده
لا تقل أحبُها، أحبُّ ابتساماتِها
نظراتِها، حديثَها الرقيقَ
أو سمةً في فِكرِها
لاقَتْ هوى بنفسي
وأدخلَتْ على أيامي
حِسّاً من راحةٍ عذبة
أشياءُ كهذهِ يا حبيبي
قد تتغيرُ في ذاتِها
أو تتغيرُ في ناظريكَ
فيفقدُ الحبُّ الذي تجمّل بها جمالَه

ولا تعشقْني لأنكَ تمسحُ دموعي بعطفِكَ الحبيبِ
فمخلوقٌ تقلَّبَ في نُعماكَ طويلا
قد ينسى البكاءَ فيخسرُ حبَّكَ
لكن اعشقني لأجلِ العشقِ
كيما يدومَ حبُّكَ لي إلى الأبد

الحــزن

أُنبيكَ بأنَّ الحزنَ اليائس حزنٌ لا روحَ بهِ
وبأنْ ما مِن رجلٍ يمضي في منتصف الليلِ إلى العرشِ صعوداً
في صخبٍ وملاماتٍ وعويلِ
إلا من يغمره الشكُ لفرطِ اليأسِ
ونصفُ العالمِ بالآلام
وبأن فيافي الروح كمثلِ فيافي الأرض تنام
عاريةً ساكنةً تحتَ عيونِ سماوات الله التي تملؤها بالروع

فيا ذا القلب الغاطس في الأعماق
ألا فلتندبْ موتاك بصمتٍ يشبه صمت الموت
أو كن كتماثيلِ النصبِ التذكاريةِ
إذ تجلسُ في ألمٍ وسهادٍ أبديٍ

حتى تنهارَ وتكبو نحو الأرض ترابا

إلمَسْها وستعرفُ أن الأجفانَ الحجريةَ ما بلَّلها الدمعُ

ولو كان لها أن تبكي

لانتصبتْ واقفة

وارتحلت دون رجوع

حين تقف روحانا

حين تقف روحانا قويتين منتصبتين
وجها لوجه في صمت
وتدنوانِ وتدنوان
حتى يشبَّ الجناحانِ المتطاولانِ
نارا من النهايتين
أيّ شرٍ عندها يمكن للأرض
أن تسلِّطهُ علينا
لتمنَعنا من المكوثِ هنا في رضا واقتنا ع؟
فكّرْ معي.
في صعودنا للأعالي، ربما زاحمَتنا الملائكة
ورمَتْ في واحةِ صمتِنا الحبيبِ العميق
نجما ذهبيا من كاملِ الغناء
فلنبقَ على الأرضِ يا حبيب

حيثُ تتنافرُ أمزجةُ البشر

وتعزلُ نقيَّ الأرواحِ

مفسحةً ليومٍ وحيد

مكانا يحيطه الظلام والاحتضار

نقفُ فيه ونتعاطى كؤوسَ الهوى

كيف أحبّك

كيفَ أحبُّكَ ؟
دعني لأحصي الطرقَ.
أحبكَ لآخرِ ما تبلغُ روحي
من عمقٍ وعرضٍ وارتفاع
حين أشعرُ أني بمنأى عن الأنظار
حتى نهاياتِ الوجودِ، وتمامِ النعيم
أحبك حتى منزلةِ الحاجةِ اليومية الهادئة
في الشمسِ أو في ضياءِ الشموع
أحبكَ بحريَّةٍ
كما يَنشُدُ الناسُ العدلَ
أحبكَ بنقاءٍ، كما يرتبكونَ من الإطراء
أحبكَ بما جاشَ بي مِن هوىً
في أحزانيَ القديمةِ
أحبكَ بإيمانِ صبايَ
بحبٍّ تخيلتُ أني خسرتُهُ

في إثْرِ مَن خسرتُ من قديسينَ
أحبكَ بكل ما في حياتي
من أنفاسٍ وابتساماتٍ ودموع
ولو قدّرَ اللهُ لي
سأحبكَ في موتي
أحسنَ مما فعلتُ في الحياة.

قل لي مرةً أخرى

قلها وأعِدها
وأعدها وأعِدها أنك تحبني
رغم أن التكرارَ
يبدو على شفتيك
كصيحاتِ طائر الوقواق
وتذكَّرْ أنَّ طلقَ الربيعِ
لا يزورُ، بتمامِ حُلَّتِهِ الخضراءَ،
سهلاً، ولا تلّاً
لا غابةً ولا وادياً
دون ألحانِ وقواقه
أيها الحبيب، أنا التي
وسطَ هذا الظلام
حيَّاني صوتُ الروحِ المرتابةِ
أصيحُ في ألمِ الأرتياب
قلها وأعِدها . تحبّني

ومَن يخشى كثرةَ النجومِ

ولو تقلّبَتْ كلها في السماء؟

من يخشى كثرةَ الزهور

ولو تَوَّجَتْ كلها السنةَ؟

أعد عليَّ. أحبكِ أحبك أحبك

كرنّاتِ أجراسٍ من فضة

لكن لا تنسَ يا حبيب

أن تحَّبني في قلبكَ   ساعةَ السكوت



-٣-

ساروجيني نايدو

Sarojini Naidu

(١٨٧٩-١٩٤٩)

ولدت الشاعرة الهندية ساروجيني نايدو في حيدر آباد في الثالث عشر من شباط ١٨٧٩ وكانت الابنة البكر في عائلة بنغالية كبيرة تعلَّمَ كلُ أبنائها اللغة الانجليزية في سن مبكرة وكان والدها مديراً لكلية «نظام» في «حيدرآباد». في الثانية عشرة من عمرها نجحت في امتحان القبول بجامعة مدراس لتطبق شهرتها أرجاء الهند. ولم تكد تبلغ الخامسة عشر من عمرها حتى بدأ كفاحها العظيم: كان حبيبها الدكتور ج. نايدو - الذي أصبح زوجها فيما بعد - لا ينتمي، برغم مكانته المرموقة وعراقة محتده، إلى طبقة البراهميين العليا التي تنتمي إليها الشاعرة، فأيقظ هذا الاختلاف الطبقي معارضة عنيفة متساوية من العائلتين وأرسلت على إثر ذلك للدراسة في انكلترا خلافا لإرادتها حيث درست في جامعاتها للفترة (١٨٩٥-١٨٩٨) لتعود إلى «حيدرآباد» وتتزوج

من الدكتور «نايدو» في حدث نادر هز الهند بأسرها وعدّ خروجاً عن تقاليد الفصل الطبقي الصارمة. تعرفت في إنكلترا على الشاعر الناقد «آرثر سايمون» الذي واظب على مراسلتها وأقنعها عام ١٩٠٥ بنشر مجموعتها الشعرية الأولى "العتبة الذهبية" لتنشر بعدها مجموعتين أخريين «طائر الزمان» و«الأجنحة المتكسرة». وفي عام ١٩١٨ نشرت مجموعتها "وليمة الشباب" كما أصدرت فيما بعد مجموعاتها «الشجرة السحرية»، «قناع الساحر»، «كنز من القصائد» و«الناي ذو الصولجان» و«ريشة الفجر» التي صدرت بعد وفاتها. حازت نايدو على شهرة أدبية واسعة وانتخبت زميلةً في الجمعية الأدبية الملكية البريطانية وكان صالونها الأدبي في بومباي قبلة أنظار أدباء ومثقفي عصرها ومن بينهم طاغور وجواهر لال نهرو.

في عام ١٩١٦ التقت بالمهاتما غاندي لتتغير مسيرة حياتها إلى الأبد وتدخل تاريخ بلادها لا كشاعرة فقط ولكن كمناضلة سياسية عظيمة ومحاربة من أجل حرية بلادها وحقوق شعبها ونسائها على وجه الخصوص. فانضمت إلى المؤتمر الوطني لتصبح فيما بعد أول رئيسة له وشاركت في كل الحركات والاعتصامات التي قادها غاندي ودخلت السجن عدة مرات ودارت في أرجاء بلادها لتوقظ شعبها وتدعو إلى تحرير المرأة واستعادة

احترامها لنفسها وانتزاع حقوقها وجالت في جنوب وشرق أفريقيا وأمريكا لشرح قضيتها وحشد الدعم لها كما رافقت غاندي إلى لندن في المفاوضات الهندية البريطانية لتصبح عام ١٩٤٧ بعد الاستقلال وحتى وفاتها أول حاكمة لولاية «اوتار برادش» الحالية.

لقبت نايدو بعندليب الهند، ورغم أنها كانت تكتب باللغة الإنكليزية إلا أن قصائدها مشبعة حتى الأعماق بروح الهند وتاريخها وتقاليدها العريقة.

أغنية حب هندية

هو:

ارفعي الحُجُبَ التي

تُعتِمُ البدرَ الرقيق

لمجدِكِ وبهاكِ

آهِ أيتها الحبيبةُ

لا تحبِسي عن ليلِ اشتياقي

فرحةَ مُحَيّاكِ المضيء.

امنحيني رمحاً من شجر الكيورا العَطِرِ الذي[1]

يحرسُ خصلاتِك المعقودةِ المائِجة

أو خيطَ حريرٍ من الأهدابِ التي

تقلِقُ أحلامَ لآليكِ الوامضاتِ.

إنّ روحي لتُغشى مِن عطرِ ضفائرِكِ

---

(١) الكيورا keora: نوع من الأشجار التي تنتشر في غابات الهند وميانمار وبنغلادش تتميز بطولها الفارع الذي قد يصل إلى عشرين متراً.

أو تقلُّبِ ألحانِ خلاخيلك
أحييني، أتوسلُ، برحيقكِ السحريِّ
الساكنِ في زهرِ قُبلتك
هي .
كيف أستسلمُ لنداء التماساتكَ
كيفَ أسلِّمُ بابتهالاتكَ
أو أهبكَ خويطاتٍ من حريرٍ
حمراءَ بلونِ الوردِ
أو خصلةً مشذّاةً من شعري؟
أو أطرحُ في نارِ رغبتكَ
حُجُباً تغطّي مُحَيّاي
وأخرقُ شرائعَ دينِ أبي
لأجلِ عدوٍّ لعِرقِهِ؟
أقرباؤُكَ حطَّموا معابدَنا
وذبحوا أبقارَنا المقدسةَ
ضغينةُ الأديانِ القديمةِ،
دماءُ المعاركِ الغابرة
تفصلُ قومَك عن قومي

هو

ما خطيئةُ سلالتي، أيْ حبيبتي؟

وما قومي إلى قومك؟

ما أضرحتكِ عندي؟

ما أبقارُك وعشيرتُك ما آلهتك؟

الحبُّ لا يبالي بالعداوات

ومريرِ الحماقات

بين أغرابٍ أو رفاقٍ أو أهلين

وسيّان في مسمعَيهِ رنينُ أجراسِ المعابدِ

ونداءُ المؤذنينَ

فالحبُّ يمحو خطيئةً غبرتْ

ويخمِدُ السعيرَ القديم

وبدمعِهِ يغسلُ أسى الذكرياتِ التي

لطَّخَتْ غابرَ الزمان

أغنيـة للمهـد

من أيكات الطِّيبِ والبَهار
فوقَ حقولِ الرز
عبرَ جداولِ اللوتسِ
سآتيكِ يا حلوتي
بحلمٍ صغيرٍ جميل
يلمعُ بالندى

أغمضي عينيكِ يا حلوتي
اليراعاتُ الطليقاتُ
ترقصُ بينَ أشجارِ نيمٍ
لها رقةُ الجنِّ
ومن ساقِ نبتةِ خشخاشٍ
سرقتُ لكِ حلماً صغيراً جميلاً

عمتِ مساءً يا أعيناً حبيبات

في الليلِ الذهبيِّ

تتلامعُ النجومُ من حولك

وعلى جسدكِ الصغيرِ

أطبعُ مثلَ قبلةٍ رقيقةٍ

حلماً صغيراً جميلاً

تحية إلى السلام الأبدي

يقولُ الناسُ إنّ العالمَ
مليءٌ بالخوفِ والضغينةِ
يقولون إن حقولَ غِلالِ الحياةِ
تنضجُ وتنتظرُ
منجلَ المصيرِ الذي لا يَلين

لكنني، أنا الروحُ الجميل،
أفرحُ لأنني ولِدتُ،
حين أراقبُ من فوقَ البيادرِ التي تعلو
عصافيرَ صبحِك الذهبية

ولماذا أبالي بما في العالَمِ
من رغبةٍ أو فَخار
أنا التي شهدتُ الأجنحةَ الفضيّةَ التي
تومضُ وتنسلُّ في الهواء،

وطيورَ مَساك التي تؤوبُ لأعشاشها؟

ولماذا أحفلُ بتعبِ العالمِ الصاخبِ
أنا التي أحلمُ في كروم الشفق التي باركتها أنت
بباقات رقيقة من صمتٍ رخيم؟

قل لي، أعليَّ أن أبالي
بنُذُر القضاءِ البليدةِ
أو أخشى ما يُقال
عن الوحشةِ والوحدةِ
وما رسَمَهُ الخيالُ
عن رعبٍ أخرسَ في القبور؟

ذاك أنَّ قلبيَ الفرِح
ثمِلٌ غارقٌ بك
أيها الريح العميق
لنشوة الحياة.
أيها الجوهرُ الحميمُ للخلود

أغنية حب راجبوتية[1]

ـبارافاتي، وراء شباك الحاجزـ

آهِ يا حبيب
ليتكَ إكليلُ ريحانٍ لتلتفَّ بجدائلي،
أو مِشبَكٌ مرصّعٌ من ذهبٍ ذي بريق
لأعقدَكَ حول أرداني
آهِ يا حبيب
ليتك روحُ الكيورا التي
تسكنُ حريرَ ثيابي
أو ذؤابةٌ قرمزية

الراجبوتـ طبقة اجتماعية هندية يبلغ تعدادها حوالي ١٢ مليون نسمة يعدون أنفسهم من طبقة المحاربين ـالشاتريا وهي الطبقة الثانية في هرم الطبقات الهندية ـ رغم أنهم ينقسمون بدورهم ما بين أمراء وملاك أراض وفلاحين فقراء أغلبهم من الهندوس مع القليل من المسلمينـ يتمركزون حاليا في شمالي ووسط الهند وخصوصاً في ولاية راجستان ويمارسون عددا من التقاليد الخاصة بهم منها عزل النساء وحجبهن وتزويجهن من رجال أعلى طبقة

في الزنارِ الذي أحُوك

آهٍ يا حبيب
ليتك مروحةٌ معطرة
ترقدُ على وسادتي
أو مِزهرٌ من صندلٍ، أو مصباحُ فضةٍ
موقَدٌ في مخدعي
لماذا أخافَ الفجرَ الغيورَ
الناشرُ بضحكتهِ القاسية
ستائرَ الفراقِ   بين وجهكَ ووجهي؟

عجّلي لحدائق الغروب
يا سويعات النحلِ البريِّ.
حلِّقْ لبساتينِ الغربِ
يا نهارَ الببغاءِ البريّ.
وتعال تعال   أيها الليلُ الرقيق
بظلامكَ المؤاسي اللذيذ
وأحضِرْ حبيبي
إلى ملجأ نهديَّ

-آمار سنغ، فوق سرجه-

آهِ يا حبيبتي.
ليتكِ الصقرُ المكمَّمُ فوق ساعدي
هذا الذي يهزُّ طوقَ رقبتهِ ذا الأجراس التي
تجلجلُ وأنا أعدو فوقَ حصاني
آهِ يا حبيبتي.
ليتكَ زينةٌ فوق عمامتي
أو ريشة طائفةٌ لمالك الحزين
أو السيف البارق الرشيق الذي لا يقهر
ذاك الذي يتأرجح في جانبي.
آه يا حبيبتي.
ليتك درعٌ يصدّ سهامَ أعدائي
أو تعويذةٌ من يَشَبٍ لمخاطرِ الطريق
كيف لِدَقّاتِ طبولِ الفجرِ
أن تبعدني عن صدرك؟
أو لاتحّادِنا في انتصافِ الليال
أن ينتهي بالنهار؟
عجِّلي، يا سويعاتِ الغزالِ الشاردِ،

إلى مروجِ الغروب
وحلِّقْ، يا نهارَ الحصانِ الجَموح،
إلى مراعي الغرب
وهلمَّ. أيها الليلُ الرائقُ
بظلامكَ الساكنِ الرقيق،
واحملْني إلى عطرِ صدر حبيبتي.

أغنية حب من الشمال

كفَّ يا بابيها[1]
عن حديثِ حبّك
هيهات يا بابيها   أن تحيي بقلبي
أحلامَ سرورٍ ولّت،
حين كانت خُطى حبيبي
مع نجيمات الفجر والغسق
تهرعُ إلى خُطاي

على صفحةِ النهر
أبصرُ أجنحةَ الغمامِ الرِقاق
وأوراقَ المانغو التي ترتعش
متوَّجةً بلآلئ المطر،
والأماليدَ الغضَّةَ

بابيها طائر شبيه بالدراج يهاجر في أيام موسم المانجو القائضة إلى سهول الهند الشمالية وينادي منتظرا المطر بصوت يبدو قريبا من كلمات بيكاهان   بيكاهان التي تعني ـأين حبيبي؟

مُزهِرةً في السهلِ الفسيح.
ولكن، يا بابيها، ما جمالُها هذا،
جمالُ البراعمِ ورَشاشُ المطر،
إن لم يُعِد لي، يا بابيها،
حبيبي الذي مضى؟

كفَّ يا بابيها
عن حديثِ حبّك
هيهات يا بابيها   أنْ تحيي بقلبي
شوقاً لفرحةٍ   مضَتْ دون عَود

وأسمعُ الطاووسَ الزاهي في الغابةِ الوامضة
ينادي إلفَهُ في السَحَر،
أسمعُ نداءَ التغزلِ المرتعشِ الرتيب
لطائرِ الوقواقِ الأسود
ومن حديقتي أنصتُ لعذبِ الغناءِ
لهديلِ الحمائمِ   للبلابلِ العاشقة
ولكن، يا بابيها، ما موسيقاها،
وأغنياتُ حبِّها، وضحكُها، يا بابيها،
لي أنا   التي هجَرَها الحبُّ؟

أغنية خريفية

كفرحةٍ في قلب أسىً
يتشبّثُ الغروبُ بغيمةٍ.
والريحُ الجَموحُ
تُطلِقُ في جوفِ الغمامِ
عاصفةً ذهبيةً
من حُزمٍ لامعاتٍ
من أوراق شقراء، قصيمة، مرفرفة
أصخِ السمع لصوتٍ
ينادي فؤادي في عزيف الريح:
قلبي متعَبٌ.. وحيدٌ.. حزين
فقد رحلتْ أحلامُه
كهذه الأوراقِ المرفرفة
فعلامَ، في إثرها، أطيلُ المكوث؟

صيادو كوروماندل[1]

انهضوا يا إخوتي، انهضوا
السموات تنفضُ الكرى
وتُصلّي لنورِ الصباح
والريحُ تغفو بأحضانِ الفجرِ
كصغيرٍ قضى الليلَ بالبكاء.
تعالوا لنجمعَ شِباكَنا من الساحل
ونطلق أرماثنا[2]
كي نمسكَ ثروةَ المَدِّ القافزة
فنحنُ، نحنُ.. ملوكُ هذا البحر!

كفى توانياً، فلنعجِّل بالرحيل
في مسالك نداءات النوارس.

---

(١) Coromandel: سهل ساحلي فسيح جنوبي الهند.

(٢) الرَمَث (ج. أرماث): مركب بسيط من ألواحٍ يُشَدُّ بعضها إلى بعض.

البحر أمُّنا والغمام أخونا
والأمواج رفاقنا أجمعين
وما الذي سنرميه، عند الغروب
حيث تهيمن يد إله البحر؟
ذاك الذي يمسك العاصفة من شعرها
سيخفي حيواتنا في صدره

جميلةٌ أفياء جوز الهند
وعطر أيكة المانجو
جميلةٌ هي الرمال السابحة في ضياء البدر
وأصداء أصواتٍ من نحب
بيدَ أنَّ الأجملَ، يا إخوتي،
قبلات الرذاذ ورقصة المرح المجنون للزَبد
جذفوا إذن يا إخوتي
حتى نهايات الأفق
حيث يتحد البحر بالسماء الخفيضة

الجرّاشات

آهِ أيتها الفأرةُ الصغيرة، لماذا تبكينَ
في حين تضحَكُ النجومُ المرِحاتُ في كبد السماء؟

وا حسرتي. لقد مات سيدي.
آهِ، من يُسكِنُ آلاميَ المبرِحات؟
قد ذهبَ يبحثُ عن حبَّةِ دخنٍ
في صومعةِ المُزارعِ الثريِّ
حين أطبَقوا عليه الشِراكَ
و غالوا حبيبي. قتلوه على حين غرّه
وا حسرتي. وا حسرتي. لقد مات سيدي.

آهِ أيتها الغزالةُ الصغيرة، علامَ تنتحبين؟
وحيدةً عاكفةً في مأواكِ بين الشجر؟

وا حسرتا. قد مات سيدي.

آهِ، من يُسكتُ نوحي؟
قد مضى عند المساء
لينهَلَ من منبعِ النهرِ
فرماهُ صيادٌ منتظِر
وأنفذَ السهمَ بقلبِ حبيبي
وا حسرتي. وا حسرتي. لقد مات سيدي.

آهِ أيتها العروسُ الصغيرةُ، علامَ تذرفينَ الدموعَ
وكلُّ هذا العالم يغفو سعيداً من حولك؟

وا حسرتي. وا حسرتي. لقد مات سيدي.
آهِ، من يوقفُ هذي الدموعَ الجائعاتِ
أو يخمِدُ سغَب السنين العجاف
ويتوِّجُ بالحبِّ سريرَ زفافي؟
إن روحي لتتَّقدُ بالنارِ التي لا تهمدُ
تلك التي أشعلَتْ محرقةَ حبيبي.
وا حسرت وا حسرتي. لقد مات سيدي.

المـرمـر

كهذا الصندوقِ المرمريّ
ذي الزخارفِ الهشّةَ كزهرةِ دارسين
قلبي المنقوشُ بمرهَفاتِ الأحلامِ
المزخرَفُ بالكثيرِ الكثير
من رقيقِ الفِكَر

هنا بداخلهِ أكنُزُ العطرَ والطِّيب
للذكرياتِ الغنيَّةِ المشبوبة،
الممزوجةِ كعطورِ الدارسينِ والصندلِ والقرنفل،
للأغاني والأحزان
والحبِّ والحياة.

نشــوة

غطِّ عينيَّ، أيْ حبيبي.
عينيَّ المتعَبتَينِ من النعيم
كما من الضياءِ الساطعِ الشديد
آهِ، أسكِتْ شفاهي بقبلةٍ
فشفاهي متعَبةٌ من الغناء
آهِ روحي، أيْ حبيبي.
فروحي قد انحنَتْ من وطأة الألم
وعبءِ الحبِّ
كنعيمِ زهرةٍ أصابها وابلُ المطر
آهِ روحي من محَيّاك.



-٤-

سلفيا بلاث

Sylvia Plath

(١٩٣٢-١٩٦٣)

شاعرة وقاصة أمريكية، عرفت أعمالها بخيالاتها الوحشية وانهماكها في مواضيع الموت والاغتراب وتدمير الإنسان لذاته. لم تحز شهرتها إلا بعد انتحارها حيث تنامت شعبيتها ومكانتها حتى عدت مع حلول السبعينات من القرن الماضي واحدة من أعظم الشعراء المعاصرين.

ولدت عام ١٩٣٢ لأب من أصل ألماني وأم من أبوين نمساويين. كان والدها يعمل بروفسورا في علم الحشرات بجامعة بوسطن حيث التقى زوجته التي كانت طالبة تحضر لنيل شهادة الماجستير في الجامعة نفسها، فتزوجها رغم أنه يكبرها بعشرين عاماً، ومنذ ذلك الوقت تخلت عن كثير من طموحها وشخصيتها لصالح متطلبات أسرتها وعمل زوجها مما ترك فيما بعد أثراً كبيراً على شخصية الشاعرة.

في مقتبل عمرها هيمنت عليها رغبة شديدة في كتابة أشياء متميزة تفوق بها أقرانها فكان أن نشرت أول قصائدها ولما تزل في الثامنة من عمرها. دخلت العديد من المسابقات الأدبية وفازت فيها وحصلت عام ١٩٥٥ على منحة دراسية في كلية سمث ثم غادرت إلى جامعة كامبرج في بريطانيا في منحة مماثلة حيث التقت بالشاعر الإنكليزي الشهير "تيد هيوز (١٩٣٠-١٩٩٨) وتزوجت منه عام ١٩٥٦ وقامت بينهما شراكةٌ أدبية مثمرة فسافرا إلى الولايات المتحدة ليقوما بالتدريس في جامعاتها ثم عادا عام ١٩٦٠ إلى انكلترا ليبدأ زواجهما بالتفكك ثم الانهيار في أعقاب اكتشافها لخيانته لها فانفصلت عنه لتسكن مع طفليها في ظروف صعبة رغم أنها شهدت كتابتها لأفضل أعمالها التي تميزت بالحرية والذاتية والصراحة الشديدة والأسلوب المتمرد إلى أن وضعت حدا لحياتها منتحرة بالغاز عام ١٩٦٣. أصدرت عام ١٩٦٠ أول أعمالها المهمة "الصرح العظيم" وهو مجموعة من الأشعار كتبت بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٠ كشفت عن أسلوبها البارع الدقيق الشديد الخصوصية، أردفتها عام ١٩٦٣ بروايتها الوحيدة "ضجيج النواقيس" التي تصف فيها الانهيار العقلي لفتاة جامعية تتعرض لضغوط الحياة في الولايات المتحدة مما يدفعها الى محاولة الانتحار (كما فعلت هي في سنوات صباها). أما الأعمال التي نشرت بعد وفاتها فتشمل "أر يال" ١٩٦٥، "عبور الماء" ١٩٧١ وهما مجموعتان شعريتان عكست الأولى (التي عدها النقاد أفضل أعمالها) هواجس الموت واستغراقها المتزايد في الذات، "رعب جون وإنجيل الأحلام" ١٩٧٧ وهي مجموعة من القصص القصيرة

,القطع النثرية، إضافة إلى عدد من كتب الأطفال والمراسلات كما فازت الأعمال الشعرية الكاملة لسلفيا بلاث بجائزة بولتزر لعام ١٩٨٢، وهو الكتاب الذي أعده زوجها تيد هيوز الذي تحمل طيلة حياته اللوم والنقد من أنصار ومعجبي سلفيا بلاث الذين حملوه مسؤولية موتها خصوصا أنه كان يرفض الحديث عنها حتى عام وفاته حين أصدر كتابه رسائل عيد الميلاد الذي ضم ٨٨ قصيدة كلها تقريبا موجهة إلى بلاث وتتميز بصراحتها وإخلاصها الشديد

آخـر الكلمـات

لا أريدُ صندوقاً عادياً
أريدُ تابوتاً من حجرٍ
بِخطوطٍ كجلدِ النمور
ووجهٍ مستديرٍ كالقمرِ لأحدِّقَ فيه
أريدُ أن أراهُم حين يجيئونَ
ينقّبون عن الجذور
بين المعادن البكماء
بل أكادُ الساعةَ أراهم.
بوجوهِهِم الشاحبةِ البعيدةِ كالنجوم
هم الآنَ لا شيءَ، ولا حتى أطفال
أخالُهم دونَ آباء أو أمهات
مثل الآلهة الأولى
سيتساءلونَ عن أهميتي
علي أن أُحَلِّيَ أيامي وأحفظَها كالفاكهة
مرآتي تغيبُ في الضباب
بضعةُ أنفاسٍ وتنطفي تماما

الزهورُ والوجوهُ تستحيلُ ملاءةً بيضاء
أنا لا أثقُ بالروحِ
إنها تفرُّ كالبخارِ في الأحلام
من ثقبٍ في الفمِ أو ثقوبٍ في العيون
ليس في وسعي إيقافُها
ويوما ما لن تعودَ
لكنَّ الأشياءَ ليست هكذا
إنها تبقى ببريقها الخصوصيِّ الصغيرِ
الذي يُلهِبُهُ كُثْرُ الاستعمالِ
وتكادُ تُخَرخِرُ كالقِططِ
وحين تبردُ أخامِصي
ستمُدُّني أعينُ فيروزاتي بالعزاء
دعوني أستصحب أواني مطبخي النحاسية
لسوف تُزهِرُ قدوريَ الحمراءُ كأزهارٍ ليليَّةٍ عَبِقة
ستلُفُّني بضماداتٍ، ستحفَظُ قلبي
في رُزمةٍ أنيقةٍ تحتَ أقدامي.
سيصعُبُ عَلَيَّ أن أعرفَ نفسي
في الظلامِ الدامسِ
وبريقُ هذه الأشياءِ الصغيرة
أحلى من مُحَيّا عشتار

أغنية الصباح

الحُبُّ أطلقَ حراكَكَ
فمضيتَ كساعةٍ ذهبيةٍ بضَّةٍ
القابلةُ ربتَتْ باطنَ قدميكَ
فأخذَتْ صرختُكَ العاريةُ
مكانَها بين العناصر
وترددتْ أصداءُ أصواتِنا
تُمَجِّدُ وصولَك وتُعَظِّمُهُ
تمثالٌ جديدٌ
في المتحفِ الباردِ
عُريُكَ يظلِّلُ إحساسَنا بالأمان
نقفُ حولك مندهشين مثل جدران

الغيمةُ صارت أمَّك أكثرَ مني
الغيمةُ التي تقطرُ من جسدها مرايا
تعكس اندثارَها البطيءَ

على يدِ الرياح

مثلَ أنفاسِ الفراشات
تترددُ أنفاسُك طوالَ الليلِ
بين الزهورِ القرنفليةِ المنبسطة،
أنهضُ لأنصتَ لها
فيموجُ في أسماعي بحرٌ بعيد

صرخةٌ واحدةٌ
فإذا بي أَزِلُّ من سريري
برداءِ نوميَ الفكتوري
وتفتحُ فمَكَ النظيف كأفواه القطط

النافذةُ المربَّعةُ
يغمرُها الضوءُ وتبتلعُ نجومَها الكسلى
فتروحُ تجرِّبُ حفنةَ الأنغامِ التي تعرفُها
وترتفعُ الأصواتُ مثلَ بالوناتٍ

أغنيةُ حبِّ الصبيةِ المجنونة

أُغمِضُ عيني فيخرُّ الكونُ ميتا
أفتحُ أجفاني فتولَدُ الأشياءُ من جديد
أظنُّ أني صنعتُكَ في رأسي

تَخرجُ النجومُ لتَرقصَ الفالسَ
بثيابٍ حُمرٍ وزرق
ويعدو الظلامُ مقتحما كيفما شاء
أغمِضُ عيني فيخرّ الكونُ ميتا

حلمْتُ أنك أغويتني للسريرِ
وغنّيتَ لي ذاهلا
قبلْتَني في جنون
أظن أني صنعتك في رأسي.

تهوي الآلهةُ من السماءِ

تنطفي نيرانُ الجحيمِ
وتَخرجُ الملائكةُ وحاشيةُ الشيطانِ
أغمضُ عيني فيخرُّ الكونُ ميتا

خِلْتُ أنك عُدتَ كما وَعَدْتَّ
لكنني شختُ ونسيتُ اسمَك
أظنُ أني صنعتُكَ في رأسي.

كانَ الأجدَرُ بي
أن أعشقَ طائرَ الرعودِ
فهو على الأقل
يهدرُ عائدا في الربيعِ
أغمض عيني فيخر الكون ميتا
أظن أني صنعتك في رأسي.

حيـــاة

تَلَمَّسْها، ولا تَخشَ منها أن ترفَّ كمُقلةِ العينِ،
منطقةَ النفوذِ هذي
المستديرةَ مثلَ بيضةٍ، الصافيةَ كَدَمعة
هنا يمكثُ الأمسُ، والعامُ الذي مضى
النخيلُ الفتيُّ، والزنابقُ الجليّاتُ كزهورٍ
فوق بساطٍ شاسعٍ ساكن الريحِ
لستائرَ طرّزَتْها التصاويرُ

بأظفارِكَ اقرَعِ الزجاجَ
لسوفَ يرنُّ كأجراسٍ صينيةٍ
يثيرُها رقيقُ النسماتِ
ولكن ما مِن أحدٍ يرفعُ ناظريهِ إليها
أو يتكلفُ الردَّ
فالقاطنونَ خِفافٌ كالفلِّين

وكلهُم منشغلٌ إلى الأبد

عندَ أقدامِهم ينحني موجُ البحر
في خطٍّ وحيد،
لا يدفعُهم غضبٌ إلى انتهاكِ الحدودِ
هم معلَّقونَ في الهواءِ
تشدُّهم أعِنَّةٌ قصيرات
يضربون الأرضَ كجيادِ المواكبِ
وفوقَ الرؤوسِ ثمّةَ غيومٌ
زاهياتٌ، ذواتُ خصلاتٍ
كَوَسائدَ فكتوريةٍ

هذه الأسرَةُ من وجوهِ فالنتاين
قد تُسِرُّ أحدَ الجامِعِينَ
إنها لتبدو حقيقيةً
مثل خزفٍ صينيٍّ

عيد القديس فالنتاين أو عيد الحب ويصادف الرابع عشر من شباط. والإشارة إلى صور وبطاقات التهنئة بهذه المناسبة.

وفي مكانٍ آخرَ
سيكونُ المنظرُ أكثرَ وضوحا
إذ ينهمرُ الضوءُ دونَ انقطاعٍ
فيُغشي الأبصارَ

ثمةَ امرأةٌ تسحبُ ظِلَّها
في دائرةٍ
حولَ صحنِ مستشفىً أجردَ
إنه يشبِهُ القمرَ ، أو قصاصةً مِن ورقٍ أبيضَ
كخارجٍ مِن حربٍ خاطفة
تخصه هو وحده

هيَ تحيا في هدوء
دونما ارتباط
كجنينٍ في حافظةٍ زجاجيةٍ
كمنزلٍ مهجورٍ
كالبحر

هي التي كانت يوماً

لها ما تشاءُ من أبعاد
صارت سطحاً مبسوطاً على لوحةٍ
والحزن والغضب
إذ طُردا كأرواحٍ
يتركانها وحيدةً

الغدُ نورسةٌ رماديةٌ
تثرثر في صوت كالقطط
عن الرحيل.
والهرم والخوف
يرعيانها مثل ممرضتين
بينما رجلٌ غريق
يشكو من الزمهريرِ
يزحف
خارجاً من البحر

المــرآة

فضية أنا وصارمة
مبرأة من الانحياز والهوى
أبتلع أنا كل ما أرى
كما هو   دونما إبطاء
دونما غشاوة
من حب أو بغضاء

أنا لست فظةً،
أنا صادقةٌ وحسب،
أنا عينُ الهٍ صغيرٍ بأربعة زوايا
جلُّ وقتي أمضيهِ
أتأملُ الجدارَ المواجهَ
إنه ورديٌّ ذو لطخاتٍ
قد أطلتُ فيه النظرَ
حتى حسبتُهُ
شطراً من قلبي

لكنه يضطرب ويترجرج
وتفرقنا الوجوه والعتمة
المرة تلو الأخرى

أنا الساعةَ بحيرةٌ
تنحني على صفحتي امرأةٌ
تفتشُ في امتدادي عن حقيقتها
ثم تستديرُ إلى أولئك المنافقين، الشموع أو القمر
ها أنا أبصر ظهرها
وأعكسه في أمانة
فتكافئني بدموعٍ، ورعشةٍ في اليدين
مهمةٌ أنا عندها
إنها تجيء وتذهب،
وفي كل صباحٍ يحلُ وجهُها
محلَّ الظلام
في أعماقي أُغرِقَتْ ذات يومٍ
صَبيَّةٌ صغيرةٌ،
ومن جوفي تقفزُ نحوها يوما بعد يوم
امرأةٌ عجوز
كسمكةٍ فظيعة

سونيتة إلى حــواء

حسناً، لنقل أن في وسعكَ
أن تأخذَ جمجمةً وتحطمَها
كما تحطِّمُ ساعةً جداريةً
ستسحقُ العظامَ بين راحتَي الرغبةِ الحديديتينِ
تأخُذُها، تتفحصُ حطامَ المعادنِ والأحجارِ الثمينة

هذه كانت امرأةً بكلِّ أحابيلها وقصصِ الحبِّ
التي تُفشيها الهندسةُ البكماءُ
للعجلاتِ المُسَنَّنةِ والأسطواناتِ المحطَّمة
والنزواتِ الميكانيكية
واللوالبِ العاطلةِ للرطاناتِ التي لم تُقَل بعدْ

ما مِن بشرٍ ولا نصفِ إلهٍ
يقدر أن يلمَّ
أنقاضَ الأحلامِ التي صدئتْ

والعجلاتِ المعدنيةِ المُثلَّمةِ
لأحاديثَ تافهةٍ
عن الطقسِ، والعطورِ، والسياسةِ، والمُثُلِ الثابتة

عالياً يقفزُ الطيرُ الأخرقُ
ثم ينحني ثمِلاً ليُسَقسِقَ
للساعةِ الثالثةَ عشرةَ التي جُنَّتْ

شكوى الملكة

وسطَ صخَبِ رجالِ البِلاطِ وعِراكِهم
يبدو هذا العملاقُ الذي
تضَخمَ،صدِّقني، على مشهدٍ منها
بيديهِ اللتينِ كالرافعاتِ
يبدو مفترساً وحالكاً كالغُداف [1]
عجباً كلُّ النوافذِ تكسَّرَتْ
حين دخلَ في خُيَلاء

هائجاً صالَ في أطيانِها الأنيقة
في قسوةٍ عذَّبَ حماماتِها الوديعة
لا أعرفُ أيَّةَ نوبةِ غضبٍ مسعورةٍ
دفعَتْهُ لذبحِ ظبيِها الذي لم يؤذِهِ بشيء

ملأَتْ أذنيهِ بالمَلامِ

---

١ الغُداف. الغراب الأسود الكبير

حتى أخذَتَهُ ببكائِها بعضُ رحمةٍ
فَراحَ يُعَرّي أكتافَها
من ثيابِها النفيسةِ
ويغويها   لكنه يهجرُها
عندَ صياحِ الديك

ألفَ رسولٍ أرسلَتْ
ليستدعوا إلى حضرةِ ازدرائها
كلُّ قويٍّ شجاعٍ
قد تُلائِمُ قوَّتُهُ
شكلَ نومِها، شكلَ تفكيرِها
لكنَّ أحداً من أولئكَ الأغرارِ الكُثرِ
لم يضارعْ تاجَها المُشرقَ
فانتهتْ إلى هذا المأزقِ الغريبِ
الذي تخوضُ فيه في الدماءِ
تحتَ الشمسِ وعواصفِ المطر
وتغني لكم هكذا
كمْ مُؤسِفٌ أن أرى شعبيَ
ينكمشُ إلى كلِّ هذا القَذْرِ
كلِّ هذا القذْرِ   مِن الضآلة

طلـوع القمـر

ثمارُ التوتِ البيضاءُ كاليرقات
تحمَرُّ بين أوراقِ الشجر،
سأخرجُ بثيابيَ البيض
وأجلسُ مثلهم دون عملٍ؛
نسَغُ تموزَ كفيلٌ بتكويرِ حلماتِها

هذا المتنزهُ سمينٌ بالتويجاتِ الحمقاء
أزهار الكاتالبا البيضاء [1] تعلو، تسقط
وتلقي في موتها ظلاً مستديراً أبيض

ثمة حمامةٌ تدير الدفة إلى الأسفل
راضيةً برسالةِ نيلِها
الأبيضِ المروحيِّ في الحياة.

---

١ شجرة ذات أوراق كبيرة على شكل قلب

فتحُ التويجاتِ البيضِ وإغلاقُها،
والذيولُ المروحيةُ البيضُ
كعشرة أصابع بيضاء.

يكفي الأظفارَ صنعُ أهلَّةً
تحمرُّ في راحاتٍ بيضٍ
لا تحمرُّ من عمل.
الأبيض يتخدش ويتلون
وإلا انهارَ

حبّاتُ التوت تحمرُّ.
كتلةٌ من البياضِ تتعفنُ
وتفوحُ عفونتُها من تحتِ شاهدِ قبرِها
رغم أنّ جسدَها يغادرُ مُغضَباً
ملتفاً في ملاءاتِهِ البيضاء.

أشمُّ ذاكَ البياضَ هنا.. تحتْ الشواهدِ
حيثُ تدحرجُ النمالُ الصغارُ ببيوضَها
وحيثُ تسمنُ الديدانُ.

والموت قد يكتسي البياضَ
في الشمس أو بدونَها

الموتُ يكتسي البياضَ
في البيضةِ أو خارجَها.
عاجزةٌ أنا
عن رؤيةِ لونٍ لهذا البياض.
البياضُ سحنةُ العقلِ

قد سئمتُ من تخيُّلِ نياغارات بيضاء[١]
تخرجُ من جذورِ الصخور
كما تنبثقُ الينابيعُ تهيؤاً
لمشهَدِ سقوطِها الثقيل

لوسينا[٢]
أيتها الأمُّ التي بانَ منها العظمُ

---

(١) Niagara: الشلال العظيم المعروف قرب الحدود الأمريكية الكندية.
(٢) lucina إلهة القبالة والتوليد في الميثولوجيا الرومانية.

يا من يأتيها المخاضُ
بين النجماتِ البيضِ
المربوطةِ بمقابسِ الكهرباء،
وجهُكِ المجبولُ من صدقٍ ونقاء
يكشطُ اللحمَ الأبيضَ حتى بياضِ العظمِ

يا مَنْ جرجرتِ آباءَنا الأولينَ
من أعقابِ أقدامِهِم
متعَبينَ بيضَ اللحى
التوت يحمرُّ وينزفُ
والبطنُ البيضاءُ قد تزدادُ نضجا

سونيتة إلى الشيطان

في غرفةِ التحميضِ بعينيكَ
يتَشَقْلبُ العقلُ القَمَريُّ
ليَصنعَ نسخةً مزوَّرةً للكسوف؛
والملائكةُ المضيئةُ يُغمى عليها
فوقَ أرضِ المَنطِقِ
أمامَ كاميراتِ عجزِها

تأمرُ المذنَّبَ الملولبَ كنازعِ السداداتِ
بأن يَنفُثَ الحبرَ
ليُلَطِّخَ العالَمَ الأبيضَ في الأسفلِ
في طوفانٍ مُدَوِّم،
تُعَتِّمُ جُندَ السماءِ النهارِيِّين بكلِّ مراتبهم
وتُحيلُ فوتوغرافَ الربِّ المشرقَ
إلى ظِلال.

والحيّةُ المتسلّقةُ في ذلك الضياءِ المُضاد
تغزو العدسةَ المتوسّعةَ للخَليقةِ
لتَطبَعَ صورتَك الملتهبةَ في موضعِ الوِلادةِ
بحروفٍ لا يقدرُ فجرٌ على طمسها

آهِ يا صانعَ النيجاتيف
للكوكبِ المتغطرسِ
احجبِ الشمسَ الحرّاقةَ
حتى تكفَّ الساعاتُ كلّها عن الحَراك

العقـابيـل

يتسكّعونَ ويحدّقون
وقد جذبهم مغناطيسُ الكارثةِ
كما لو أن البيتَ الذي احترقَ كان بيتَهم
أو أن فضيحةً ما
ستتضَحُ في أيّةِ لحظةٍ
من الخزانةِ المختنقةِ بالدخانِ
وتخرجُ للضياء
لا خسائرَ في الأرواح
لا جراحَ خطيرة
تُشبِعُ هؤلاء الصائدين
الساعين إلى لحمٍ بائتٍ
أو آثارِ دمٍ
لهذي التراجيديات

أمُّنا ميديا[1]
وسطَ هالةٍ من دخان أخضر
تتنقَّلُ بانكسارٍ كما تفعلُ أيّةُ ربَّةِ بيتٍ
في أرجاءِ شقَّتِها المدمَّرة
وتقدِّرُ خسائرَها
من الأحذيةِ المتفحمةِ، والستائرِ،
والأثاثِ المنَجَّد المُشبَعِ بالماء
أما الحشدُ الذي خابَ رجاؤهُ
من الخرابِ والمحرقةِ
فيمتصُّ آخرَ دموعِها ويغادرُ المكان

ميديا في الميثولوجيا الاغريقية، أميرة ساحرة ساعدت جاسون في مغامرته لسرقة الجرة الذهبية من والدها ملك كولخيس مضحية بأخيها لإنقاذ حبيبها وزوجها الذي يهجرها لاحقا من أجل ابنة كريون ملك كورنثه. فتنتقم ميديا بقتل كريون وابنته وولديها هي من جاسون

-٥-

إميلي (أو جين) برونتي

Emily Bronte

(١٨١٨-١٨٤٨)

شاعرة وروائية إنكليزية. ربما كانت إميلي أعظم الأخوات برونتي الثلاث (شارلوت وإميلي وآن) لكننا لا نعرف عن حياتها إلا النزر اليسير، إذ كانت في الغالب متحفظة كتوم ولم تترك مراسلات ذات أهمية، كما أن روايتها الوحيدة «مرتفعات وذرنغ» لا تلقي إلا مزيدا من الغموض على حياتها الروحية.

كان والد الأخوات برونتي رجل دين أيرلنديا تمتع بعمر ناهز الخامسة والثمانين غير أنه فقد زوجته وجميع أبنائه في أعمار مبكرة. بعد رحيل الأم تركت الشقيقات الثلاث وأخوهن "باتريك" ليمارسوا حياة طليقة في منطقة المرتفعات الجرداء العائدة للأبرشية التي عمل فيها الأب. تلقت إميلي – كشأن شقيقاتها – تعليما مدرسيا تخللته دراسة خارجية غير منتظمة ورحلة دراسية قصيرة إلى بلجيكا استعدادا لتجربة حظهن في ممارسة التعليم أو تربية الأطفال بشكل متقطع. في عام ١٨٤٥ نشرت الشقيقات مجموعة شعرية مشتركة بأسماء مستعارة

ولم يبع منها سوى نسختين. غير أنهن فاجأن الأوساط الأدبية بنشرهن ثلاث روايات عام ١٨٤٧: «جين آير» لشارلوت، «مرتفعات وذرنغ» لإميلي، و«أغنز غراي» لآن. ورغم أن رواية شارلوت لاقت نجاحاً فورياً هائلاً فإن النقاد لم يستقبلوا رواية إميلي استقبالاً حسناً فهاجموها باعتبارها شديدة الوحشية والبهيمية وخرقاء في بنائها. غير أن الآراء اللاحقة عدتها واحدة من أعظم الروايات في تاريخ الأدب الإنكليزي. تتميز هذه الرواية عن معاصراتها ببنائها غير العادي وأسلوبها الرومانسي والدرامي وغياب أية تعليقات من المؤلف، وتختلف إميلي عن شقيقتيها بعدم توظيف تفاصيل حياتها الخاصة أو المصادفات المبالغ فيها وكون مشاهد الأحداث محدودة وقلة عدد الشخصيات التي تتحرك بدوافع عميقة وبدائية من الحب والكراهية حتى تصل إلى نهاياتها المنطقية.

وأميلي برونتي تميل في شعرها إلى الغموض والصوفية والتساؤلات العميقة عن طبيعة الحياة ومغزاها.

عانت إميلي بعيد نشر رواتها تدهورا سريعا في صحتها وأصبحت تقاسي آلاما شديدة وصعوبة في التنفس وما لبثت أن فارقت الحياة بمرض السل أواخر عام ١٨٤٨.

أواجَهُ بالتعنيف

أواجَهُ بالتعنيفِ كثيراً
لكنني أعودُ دوما
إلى تلك المشاعرِ الأولى التي وُلدَتْ معي
وأهجرُ السعي المحموم للثروة والمعرفة
نحو أحلامٍ عقيمةٍ بأشياء لا يمكن تحقيقها

اليومَ لن أقصدَ الأقاليمَ الظليلةَ
فاتساعُها الموهِنُ يفاقمُ الحزنَ،
والرؤى التي تنهضُ جحفلاً بعد جحفلٍ
تُدني لِحَدٍّ عجيبٍ
هذا العالمَ الوهمي

سأمشي ولكنْ
ليسَ في آثارِ خطى الأبطالِ
ولا مسالكِ الخلُقِ النبيلِ

ولا بين الأوجهِ نصفِ الواضحة
تلك الأشكالَ الغائمةَ لتاريخٍ غابرٍ قديم

سأمشي إلى حيثُ تقودُني طبيعتي أنا
وإنها لتدفعني لاختيارِ دليلٍ آخرَ
إلى حيثُ ترتَعُ القطعانُ الرماديَّةُ
في وديانَ صغيرةٍ سرخسية؛
إلى حيث تنفخُ الريحُ الجَموحُ
في صفحةِ الجبل

هذي الجبالُ الوحيدةُ
ماذا بوسعِها أن تكشفَ؟
مجداً أعظم وحزناً أشدَّ مما
في وسعيَ إحصاؤُهُ
والأرض التي توقظُ الإحساسَ
بقلب امرئٍ واحد
قمينةٌ أن تكونَ
مرتكَزاً بينَ عالمينِ
من جنةٍ وجحيم

الذكـرى

والآنَ إذ يلفُّ الثرى
جسدكَ الباردَ
ويتراكم الثلج من فوقكَ
وإذ أنتَ بعيدٌ بعيد
في الجدَثِ البارِدِ الكئيب،
الآنَ وقد فرّقتْنا أخيراً
أمواجُ الزمنِ التي تفرّقُ كلَّ شيء،
هل نسيتُ أن أحبَّكَ
يا حُبِّيَ الوحيدُ؟

والآنَ وأنا وحيدةٌ
هل كفَّتْ أفكاريَ
عن التحليقِ فوقَ الجبالِ
وفوقَ ذاكَ الشاطئِ الشماليّ

وإرخاءِ جناحَيها حيثُ الخَلَنجُ[١]
وأوراقُ السرخَسِ التي تغطّي
القلبَ النبيلَ إلى أبدِ الدهرِ؟

باردٌ أنتَ في الثرى.
عشرةُ شتاءاتٍ موحِشةٍ
مرَّت على هذي التلالِ السُمرِ
أعقَبَتها خمسةٌ أخريات
كلها صارَ ربيعاً.
ألا إنَّ روحاً تتذكَّرُ
بعد هذي السنين
مِنَ التحوّلِ والشقاء
لَمُخلِصةٌ أمينة!

أيا حُبَّ الشبيبةِ العذبَ
سامِحْني يوماً إن نسيتُ

(١) الخلنج (heather): ضرب من النباتات الخشبية تكثر في بقاع كثيرة من العالم وكانت العرب تتخذ من خشبها صحافا للطعام.

في موجِ الحياة إذ يجرفني؛
تحاصرُني آمالٌ ورغائبُ أُخرَيات
آمالٌ غامضاتٌ لكنها
لن تستطيعَ إيذاءَك

لَم يُضِئْ سمائي نورٌ جديد
لم يُشرِقْ لأجلي صباحٌ ثانٍ
نعيمُ حياتي كلُّه مِن حياتِك العزيزةِ جاءني
ونعيمُ حياتي كلّه يرقدُ الآنَ معك

ولكنْ حينَ مضتْ أيامُ الأحلامِ الذهبيةِ
ولم يعُدِ اليأسُ نفسُه قادرا على التدميرِ
تعلّمتُ ساعتَها كيفَ أنَّ الوجودَ
قد يكونُ عزيزا قويا
دونَ عونٍ مِن السرورِ

عندها كَبحْتُ دموعَ العواطفِ التي لا تُجدي
وفطمتُ روحيَ الفَتيّةَ من حنيني إليكَ
وأنكرتُ في قسوةٍ حُرقتَها لنزولِ الحفرةِ التي

هيَ مُلكي وأكثرُ مِن مُلكي

لكنني لا أجرؤُ على تركِها للتَّواني
لا أجرؤُ على الانغماسِ في ألمِ الذكرياتِ الشَجيِّ
إذ كيفَ لي وقد شربتُ حدَّ الثمالةِ
من كأسِ الألمِ السماويِّ ذاك
أن أسعى وراءَ العالمِ الأجوفِ من جديد؟

الرواقي القديم[1]

الثروةُ مُزدَراةٌ عندي
والحبُّ أراهُ بعينِ الاستخفاف
وما شهوةُ المجدِ غيرَ أضغاثِ أحلامٍ
زالت مع الصباح
وإذا صلّيتُ فما مِن دعاءٍ على شفاهيَ إلا:
"ذَرِ القلبَ الذي أحملُ بينَ الضلوعِ
وامنحني الحريةَ"

نعم، وإذ تدنو أياميَ المسرعاتُ لغايتِها
فهذا كلُّ ما أرجو:
روحاً طليقاً في إلموتِ والحياةِ
وشجاعةً على الاحتمال.

(١) الرواقي (stoic) أحد أتباع المذهب الفلسفي الذي أنشأه زينون حوالي ٣٠٠ ق م والذي قال بأن الرجل الحكيم يجب أن يتحرر من الانفعال ولا يتأثر بالفرح أو الحزن وأن يخضع من غير تذمر لحكم الضرورة القاهرة.

السجينة

مع هذا.. فليعرفْ طُغاتي
أنني لستُ محكومةً بالبِلى
سنةً بعدَ أخرى
في الكآبةِ، في اليأسِ والأسى،
فرسولُ الأملِ يأتيني كلَّ ليلةٍ
ليعرضَ لي نظيرَ الحياةِ القصيرةِ
حريةً أبديةً.

مع ريحِ الغربِ يأتي، مع أنسامِ المساءِ التائهةِ
مع الغسقِ الرائقِ الزاخرِ بالنجوم.
وتغرَقُ الريحُ في الفِكَر.. وترقُّ نارُ النجومِ
فتصّاعدُ الرؤى والتحوّلاتُ
وتقتلني بالتوقِ والحنين.

التوقُ إلى ما لَم تعرفْهُ سنينُ نضجي

حينَ جُنَّ الفرحُ من الخوفِ
وهو يحصي آتياتِ الدموعِ
ساعةَ لم أكن أعلمُ،
وسمائي طافحةٌ بدافئاتِ البروق،
متى ستجيءُ
من شمسٍ أم عاصفةٍ تهدرُ بالرعود

لكنَّ همهمةَ سلامٍ   سكينةً صامتةً تنزلُ أولاً
وينتهي الصراعُ بين الأسى ونفادِ الصبرِ المسعور
وتُلَطِّفُ الموسيقى الصامتةُ صدري
كلحنٍ يجلُّ عن الوصفِ
لحنٍ لم أكن لأحلمَ به
حتى تاهتِ الأرضُ عني

ثم يشرقُ اللامرئيُّ، تتجلي الحقيقةُ الخفيَّةُ
ويغيبُ كلُّ حسٍ دنيوي، ويشعرُ الروحُ مني
أنَّ أجنحتَه قد تحررتْ
قد وجدتْ الوطنَ والمرفأ
فيطوفُ بالخليج، وينحني مِن علٍ

ويقتحمُ الحاجزَ الأخير

كم مخيفٌ هذا الاختبار، كم شديدٌ هذا الألم
حين تشرعُ الآذانُ بالسماعِ، والأعينُ بالنظر
حين يبدأُ القلبُ بالخفقانِ ويعاودُ العقلُ التفكيرَ
والروحُ تشعرُ بالجسدِ
والجسد يشعر بالقيود

لكنني لن أفوِّتَ وخزةً
لن أتمنى انحسارَ العذابِ؛
فكلما أوجعَ الألمُ كلما بكَّرتْ نعمتُه،
والرؤى ـ ملتفَّةً بنيرانِ الجحيمِ أو مشرقةً بضياءِ النعيمِ
إلهيةٌ هيَ ما دامتْ بشيراً بالموت

مُساءَلَةُ النفسِ

سريعاً يمضي المساءُ
ها دَنَتْ ساعةُ الراحةِ
أيةُ أفكارِ خلَّفَ النهارُ الذي انقضى؟
أيةُ أحاسيسِ في صدرك؟

النهارُ الذي انقضى؟
يخلِّفُ إحساساً بكدحٍ أنجِزَ بشقِّ الأنفسِ
إحساساً بثمنٍ باهظٍ نظيرَ ربحٍ زهيد
إحساساً بالحزنِ وحسب؟

يقفُ الزمانُ أمامَ بابِ الموتِ
على فمهِ مرُّ المَلامِ،
ويصبُّ الضميرِ، بنَفَسٍ لا ينتهي،
على رأسيَ التوبيخَ

رغمَ قولي إنَّ الضميرَ يكذبُ
وأن الزمانَ يدينُ المصيرَ
فإن غيومَ الندمِ الأسودِ
لمّا تزلْ تظلّلُ ناظري
وترغمني على الانصياع.

أأنتِ إذنْ سعيدةٌ بنشدانِ الراحةِ؟
سعيدةٌ لتركِكِ البحرَ
وإلقاءِ مراسي عذاباتكِ
في سكونِ الأبديةِ؟

لا شيء سيبُدي الندمَ على رحيلكِ
لا صوتَ يبكي مودِّعا
فهل ترغبينَ في مزيدٍ من مكوثٍ
حيثُ عانى القلبُ ما عانى؟

أسفاً
القيودُ التي تشدُّنا إلى طينِنا
قويةٌ   لا تُحصى،

والروحُ العاشقةُ تتلكأُ طويلاً
ولا ترغبُ بالرحيل

والراحةُ عذبةٌ
حينَ يكلّلُ الغارُ والمجدُ
خوذةَ الجندي
لكنَّ قلباً مقداماً، باسِماً عَلاهُ الصدأُ،
ليفضّلُ القتالَ على الدعَة

حسناً، قد حاربتِ سنيناً
حاربتِ طوالَ العمرِ
وقهرتِ الزيفَ، سحقتِ الخوفَ
فماذا تبقّى لِتفعليه؟

نعم، هذي الذراعُ حاربَت في ضراوةٍ
وتجرّأت على ما لم يتجرأ الكثيرونَ
قد فعلتُ الكثيرَ، وأجزلتُ العطاء
لكنني لم أتقنِ الاحتمال.

انظري إلى القبر الذي ستنامينَ فيه
عدوكِ الأقوى والأخير
لو بدَت هذه الاستراحةُ عذاباً
فالثباتُ في حبس الدموع.

الحربُ الطويلةُ تنتهي بالهزيمةِ
بهزيمةٍ تُقابلُ بالهدوء
وهجوعكِ منتصفَ الليلِ قد يظلُّ لذيذاً
وينشقُّ عن صباحٍ مجيد

فـي كاسـلْوُد

النهارُ انتهى، وشمسُ الشتاءِ
تغرَقُ في السماءِ الكئيبة
موحشاً كانَ الطريقُ
حزينةٌ قلوبٌ   تموتُ على مهلٍ

ما مِن نجمةٍ تضيءُ قادماتِ لياليَّ
ما مِن صباحِ أملٍ يشرقُ لي
أنا لا أبكي سماءً تسلبني ناظريَّ
ولم أتُقْ لأفراح سماوية

في العمرِ الذي مضى في عناءٍ
لم أطلبْ عوناً   أو سعادةً من سماء
وطالعتُ قدري   دونما قناعٍ
وجابهتهُ دونَ دمعة

الأسى الذي جثمَ
فوقَ صدريَ الموجوعِ
أثقلَ مِن الأرضِ كان
فمن ذا الذي يَخشى راحةً أبدية
حين تكونُ ساعاتُ كدحهِ
عذاباً وشقاء ؟

مُظلماً ينزلُ رعبُ هذا اليأسِ
على قلوبٍ وُلِدتْ للسعادة
بَيدَ أني ربيتُ رفيقةً للهمومِ
ورضيعةً لقاسياتِ المحن

لا حسرةَ لأجلي   لا نظرةَ عطفٍ
لا دعاءَ لإبقاءِ روحي
هنا على الأرضِ
القلبُ ماتَ بأوّلِ الصِغرِ
فليمضِ الجسدُ إذن   دونَ دموع



-٦-

إميلي ديكنسون

Dickinson, Emily Elizabeth

(١٨٣٠-١٨٨٦)

هذه المرأة واحدةٌ من أشهر الشاعرات الأمريكيات، ناهيكَ عن كونِها واحدةً من أهمّ الكُتّاب في تاريخ الأدب الأمريكي برمّته. إن قصائدَها البسيطةَ في بنائها، الحادةَ الذكاءِ في أفكارها، الشديدةَ العمقِ في أحاسيسها، تستمدُ مادتّها وصورَها من قضايا الإنسان الأساسية: من آلامِ الحبِ وأفراحِه، من طبيعةِ الموتِ التي لا يُسبَر غورُها، الجنسِ، ويلاتِ الحروب، الدين، الدعوة إلى المرح، التأمل في أهميةِ الموسيقى والأدبِ والفن.

ولدَتْ عام ١٨٣٠ في مدينة آمهيرست بولاية ماساتشوستس في إقليم نيو إنجلاند شمالي شرقي الولايات المتحدة وكانت الأختَ الوسطى بين ثلاثة أبناء لمُحامٍ كبير وعضو في مجلس النواب هو «إدوارد ديكنسون» أما جدُّها فقد كان واحداً من مؤسسي جامعة آمهيرست. كانت ديكنسون شديدةَ التعلق ببلدتها التي نشأتْ

ودرست فيها ولم تغادرها إلا بضع مرات لضروراتٍ قاهرة، بل إنها ظلت تعيش في نفس المنزل طيلة السنوات الثلاثين الأخيرة من حياتها. لم تنشر ديكنسون خلال حياتِها إلا عشراً من قصائدها التي ناهزَتْ الألفي قصيدة ولم يظهر المجلَّد الأول من «قصائد لإميلي ديكنسون» إلاّ عام ١٨٩٠، أي بعد رحيلها بأربعة أعوام. ولعلّ هذه التفاصيل كانت إحدى الأسباب وراء الانطباع السائد عنها بأنها كانت امرأة انطوائية قليلة الاختلاط، حتى إن البعضَ أطلق عليها لقبَ «صوفيّة نيو إنجلاند». والحقيقة أن الذين نشروا أعمالها أول مرة بعد وفاتها شكّلوا الصورةَ التي رسموها عنها وعن أعمالها كي تطابقَ القوالبَ السائدة في زمانهم عن المرأة – الأديبة وعمَدوا إلى إخفاء تلك الصفات التي لم تطابق ذلك القالب السائد. ولقد ظلت هذه الصورة عالقة في الأذهان حتى في عام ١٩٧٦ حين عرضت مسرحية «حسناء آمهيرست»: – المرأة التي ترفلُ في الثياب البيضاء، الحساسة، الانعزالية بطبعها، التي يعذبها حبٌّ سري من طرف واحد. غير أن الصورة الحقيقية لشاعرتنا مختلفةٌ تماما؛ فلقد كانت حسب شهادة أقرب المقربين إليها آنسةً مرحة تحِبُ صحبةَ الناس رغم دقة اختيارها لأصدقائها – وكانت تستقبل في بيتها الكثيرَ من الأصحاب وتداوم على مراسلاتٍ مطوَّلة مع أقربائها وخلصائها ومرشديها الروحيين والفكريين، وكانت تتمتع بحبٍّ وألفةٍ عظيمين إزاء زوجة أخيها التي عاشت في جوارها أكثر من خمسة وثلاثين عاماً شاركَتها خلالها ولعَها بالموسيقى والأدب والأزهار وخصَّتْها بأكثرَ من أربعمائة من قصائدها التي تتخذ هيئة رسائل شخصية.

كانت ديكنسون شديدةَ الإعجاب بترجمة الملك جيمز للإنجيل وبشعراءَ وكتّابٍ أمثال وليم شكسبير وجون ملتون وجارلز ديكنز وإليزابيث براوننغ ويُظهِر أسلوبُها الشعري تأثرا واضحا بكل من إليزابيث براوننغ وزوجها روبرت براوننغ والشاعرين الإنجليزيين جون كيتس وجورج هربرت.

استخدمت ديكنسون العديدَ من الأوزان الشعرية السائدة في التراتيل وخصوصا البحر الإيامبي الرباعي (أربعة أزواج من المقاطع في البيت الواحد يكون المقطع الثاني في كل منها مشددا أو منبورا) كما استخدمت بكثرة ما يعرف بالقافية الشاذة (off-rhymes) ومثال على ذلك تقفية كلمة (ocean) مع كلمة (noon) أو كلمة (seam) مع كلمة (swim). وكانت لديكنسون طريقة مدهشة في استخدام اللغة اليومية العادية وهي طريقة تدعى التأليف أي جعل الشيء مألوفا (defamiliarization) من شأنها حسب قولها أن "تستخلص إحساسا عجيبا من معانٍ عادية". والمقاطع الآتية من قصيدتها "طيرٌ أتى خلال الممشى تقدم مثالا على هذه التقنية

طيرٌ أتى خلال الممشى
نهَلَ قطرةً من ندى
.. نفَضَ رأسَهُ المُخمليَّ.. (ثم)
نشرَ ريشَ الجناحين
وحلَّقَ إلى بيته الناعم.. (بينما)

تتقافز الفراشاتُ على ضفاف الظهيرة

إن أبياتها الشعرية القصيرة التي تتكثف باستخدام الكنايات القوية والاستخدامِ الواسع لما يُعرف بالحذف (ellipsis) أي حذف الكلمات التي يمكن أن يفهم القارئ وجودها في أمكنة معينة (كما يلاحَظُ من المقطعِ السابق) تُناقِضُ بشدة أسلوبَ الشاعر الأمريكي العظيم والت ويتمان الذي كان معاصرا لها وهو الأسلوبُ القائم على الجملِ الشعرية الطويلة وإغفالِ القافية والابتعاد عن الأوزان المنتظمة.

كان لِترِكَتِها من القصائد المكتوبة بخطٍّ يدها أن تسلِّط بعضَ الضوءِ على تطوّر أسلوبها: إذ بينما نجدها في قصائدها المبكرة تلجأ إلى الأساليب الفنية التقليدية وتخطُّ ما تكتب بطريقة تحاكي قواعدَ الطباعة الرسمية نراها تبدأ لاحقا بالالتفات إلى الجوانب البصرية لأعمالها؛ فتروح مثلاً ترتب الأبياتَ وتجزِّئُها بطرقٍ غاية في التفرّد لكي تُبرِز مدلولاتٍ بعينها، أو تبتدعُ أشكالاً غريبة من رسم الأحرف الهجائية لكي تركِّز أو تتلاعب بالأحاسيس التي تثيرها القصيدة كما تعمد إلى تضمينِ مقاطعَ مستلَّةٍ من الروايات والصحف وحتى الإنجيل كيما تعزِّزَ استخدامَها الخاصّ للغة.

رغم أن إميلي ديكنسون نشرت النزرَ اليسير من قصائدها خلال حياتها فإنها "نشرت" بنفسها ما يناهز ثلثَ أشعارها بواسطة رسائلها التي جاوزت الألف التي كتبتها إلى أكثر من مائة مراسل

بينهم العديد من الشعراء والأدباء والنقاد. إن طريقتها في جمعِ حوالي الثمانمائة من قصائدها في عشرين دفترا وتوزيع عدة مئات منها بين طيات رسائلها صارت تُعرَف على نطاق واسع بطريقة إميلي ديكنسون في النشر الشخصي، أضف لذلك أنها كانت طوال ثلاثة عقود تتلو الكثير من قصائدها على ضيوفها وأصدقائها.

تشمل أعمالها المنشورة: «أشعار إميلي ديكنسون» (في ثلاثة مجلدات عام ١٩٥٥) و«رسائل إميلي ديكنسون» (في ثلاثة مجلدات عام ١٩٥٨) و«مخطوطات إميلي ديكنسون» (في مجلدين ١٩٨١).

سماعُ عصفورٍ يغنّي

سماعُ عصفورٍ يغني
ربما أمرٌ مألوفٌ
وربما إلهيٌّ

وليسَ سواءً
غناؤهُ وحيداً
وغناؤه على حشدِ سامعين

طِرازُ الآذانِ
يكسو ما تسمعُه
بالقتامةِ أو الحسن

وكونُهُ ساحرا أو عقيما
شيءٌ تقرّرُهُ الدواخل

اللحنُ في الشجرة

يقولُ المتشكِّكُ فأجيب

لا يا سيدي، إنه فيك

في غفلة تكبرُ الجِبال

في غفلةٍ تكبرُ الجِبالُ
وتَنهَضُ أَجرامُها الأرجوانيةُ
دون جهدٍ أو عناء
دون عونٍ أو ثناء

الشمسُ الذهبيةُ، في أوجِ السرور
تُطيلُ النظرَ
في وجوهِها الأزليّةِ
وتَرمُقُها للمرةِ الأخيرة
تائقةً لصُحبَة الليل

العـربـــة

لأنني لَم أستطعْ أنْ أتوقفَ من أجلهِ
تعَطَّفَ الموتُ وتوقَّفَ من أجلي
لم يكن في العربةِ غيرَنا
أنا والموتُ والخلود

وانطلقنا على مهلٍ
دونما عجالةٍ
ورميتُ بعيدا
بكلِّ كَدِّي وعَنائي
وكلِّ راحَتي
نظيرَ تهذيبهِ ولطفِهِ

واجتزْنا المدرسةَ
حيثُ يلعبُ الصغارُ
إذ يفرغونَ من درسهِم

ومررْنا بحقولِ القمحِ المحدِّقة
واجتزْنا الشمسَ الغاربةَ

وتوقفنا هنيهةً أمامَ بيتٍ
بدا مثلَ ورمٍ في الأرض.
السقفُ بالكادِ يُرى
والإفريزُ كَومُ تراب

من وقتِها من قرونٍ بدت
أقصرَ من يوم ـ
خمَّنتُ أن رؤوسَ الجيادِ
تمضي إلى الأبدية

لَم أرَ السـباخ

لَم أرَ السِباخَ الموحِلات
لم أرَ البحرَ يوما
بيد أني أعرفُ شجيراتِ الخَلَنج
وشكلَ الأمواجِ

لم أكلِّمِ الربَّ
لم أزرِ الفردوسَ
لكنني أعرفُ المكانَ يقينا
وكأنَّ صحيفتي في يميني

وضعتُ قوتي في يدي

وضعتُ قوتي في يدي
ومضيتُ أتحدى العالمَ
لم أكنْ بقوةِ داودَ
لكنني كنتُ أشجعَ بمرتين(١)

وصوَّبتُ حَصاتي
لكنَّ الوحيدَ الذي هوى
كانَ أنا!
هل كانَ "جالوت" مفرِطَ الكِبَرِ
أم إنني كنتُ
مفرطةً في الصِغَر؟

(١) في العهد القديم يتحدى العملاق جالوت (غولياث) (Goliath) داود الفتى فيصرعه الأخير بحجر من مقلاعه.

لــو

حياتي لن تكونَ عبثاً
لو منعتُ قلباً واحداً
منَ التحطُّمِ
لو خففتُ أوجاعَ حياةٍ واحدة
أو طففتُ ألماً واحداً
أو أعنتُ طيراً مَغمياً
كي يؤوبَ لعشِّهِ
حياتي لن تكونَ عبثاً

لم أملك الوقتَ لأكرَهَ

لم أملكِ الوقتَ لأكرَهَ
فالقبرُ قد يعيقُني
والحياةُ ليستْ فسيحةً
حتى أُنهي عداوتي

ولم أملكِ الوقتَ للحبِّ، لكنْ
لأنني ملزمةٌ ببذل جهدٍ ما
كانَ تعبُ الحبِّ الضئيل
كبيراً بما يكفيني

كتـــاب

أكلَ الكلماتِ النفيسةَ   شربَها
فصارت روحُهُ   قويةً معافاة؛
نسيَ فقرَهُ
نسي أنَّهُ من ترابٍ
وراقَصَ أيامَهُ الحقيرةَ

هذا الإرثُ من الأجنحةِ
لم يكن غيرَ كتابٍ
أيةُ حريةٍ
يمنحُها الروحُ الطليق

أنـا نكـرةٌ   مـن أنـت ؟

أنا نكِرةٌ   مَن أنت؟
أأنتَ أيضاً   نكِرة؟
ها نحنُ اثنانِ
فلا تخبر أحداً؛
سوفَ ينبذوننا   كما تعلمُ.

كم بليدٌ ومُمِلٌّ
أن تكونَ معرفةً
كم عموميٌّ كضفدعةٍ
تصيحُ باسمها
أمامَ مستنقَعٍ مُعجَب
في يومٍ بطول العمر

السماءُ وطيئةٌ.. الغيومُ وضيعة

السماءُ وطيئةٌ   الغيوم وضيعة
ندفةُ الثلجِ المسافرة
فوقَ حفرةٍ أو حظيرة
تُجادِلُ قبلَ رحيلها

ريحٌ هزيلةٌ تشتكي اليومَ كلَّه
لأن أحدهمْ أساءَ إليها
هكذا الطبيعةُ، مثلنا نحنُ
تُضبَطُ أحياناً   دونَ تاجِها الملكي



-٧-

غابرييلاّ مسترال

Gabriela Mistral

(١٨٨٩-١٩٥٧)

ولدت غابرييلا مسترال (واسمها الحقيقي لوسيلا ألغاياغا) في قرية صغيرة بجبال الإنديز وتلقت تعليمها الأولي في مدارسها الابتدائية وعلى يد شقيقتها معلمة المدرسة القروية. كان والدها (الذي هجر الأسرة ومات بعيداً عنها) يعمل هو الآخر معلماً ويهوى كتابة الشعر. عاشت غابرييلا طفولة فقيرة ولم تكد تبلغ الخامسة عشرة حتى انخرطت هي الأخرى في سلك التعليم. كانت قد بدأت أولى الخطوات في مسيرتها الشعرية عندما تعرضت عام ١٩٠٩ إلى صدمةٍ نفسية عظيمة حين أقدم حبيبها، عامل القطار «روميليو أوريتا» على الانتحار مما أثر عميقاً في شعرها، ذلك التأثير الذي ظهر جلياً منذ مجموعتها البكر «قصائد حب إلى الموتى-١٩١٤» التي أثارت إليها الانتباهَ في أرجاء أمريكا اللاتينية لمعالجاتها المميَّزة لموضوعة الموت والحياة. غير أن شهرتها الحقيقية لم تبدأ إلا عام ١٩٢٢ عندما نشرت مجموعتها المهمة «اليأس» وتلتها مجموعتُها «رِقّة» التي غلَبت عليها

موضوعةُ الطفولة: الموضوعة التي لعبت إلى جانب موضوعات الأمومة وآلام الفقراء والطبيعة والسفر والحزن والشفاء منه والهوية الحضارية لأمريكا اللاتينية (كخليط من الحضارات الأوربية والمحلية) دورا بارزاً في جميع قصائدها اللاحقة.

في عام ١٩٢٥ (وكانت قد أصبحت شاعرة معروفة على الصعيدين المحلي والقاري) دُعيت لتمثيل أمريكا اللاتينية في مؤسسة التعاون الفكري التي أنشأتها عصبة الأمم فنشطت كثيراً في مجال التطوير التربوي والدفاع عن حقوق المرأة والطفل، وأضحت منذ الحين تعيش عملياً حياة المنفى فقضت الفترة مابين ١٩٢٦ و١٩٣٢ في فرنسا وايطاليا وجابت في أرجاء أوربا والأمريكتين صحفيةً ومدرسة للأدب الإسباني في جامعاتها. واستمراراً للتقاليد الأمريكية اللاتينية عملت مسترال، شأنها شأن العديد من مثقفي وفناني القارة قنصلا لبلادها منذ عام ١٩٣٢ وحتى وفاتها؛ فانتقلت بين نابولي ولشبونة ومدريد ولوس انجلس ونيويورك وغيرها من مدن العالم، والتقت مراراً في مدريد بالشاعر التشيلي العظيم بابلو نيرودا (الذي كانت من أوائل الملتفتين إلى أهمية أعماله منذ أن كان طالباً بمدينته «تيموكو» حيث كانت تعمل مديرة مدرسة) واشتركت معه في تأييد الجبهة الشعبية مما قاد إلى فوز صديقها وراعيها الراديكالي بيدرو سيدرا بمنصب الرئاسة عام ١٩٣٨.

في عام ١٩٤٣ انتحر ابنها ذو السابعة عشرة فانعكس حزنُها العميق على وفاته علاوة على مآسي الحرب العالمية

الثانية ومخاوفِ الحرب الباردة التي أعقبتها، على أعمالها الأخيرة التي نشرت خلال حياتها وفي نوفمبر ١٩٤٥ أصبحت مسترال أول أمريكية لاتينية وخامس امرأة في العالم تنال ,جائزة نوبل للآداب

قضت الشاعرة سنواتها الأخيرة، وقد أنهكها المرض، في نيويورك حيث توفيت، ونقل جثمانها إلى تشيلي فخرج في تشييعها مئات الآلاف من أبناء الشعب وأعلنت البلاد الحداد الرسمي عليها لثلاثة أيام

كتبت مسترال المئات من المقالات التي نشرت في أرجاء البلدان الناطقة بالإسبانية ولعبت دوراً كبيراً في تطوير التربية والتعليم في بلدان قارتها وحصلت على العديد من الشهادات الفخرية من جامعات العالم وكانت في شعرها كما في كتاباتها الأخرى تحتفي بالعادات والتقاليد الحضارية لشعوب أمريكا اللاتينية وتمزج بشكل فريد بينها وبين حضارات وتقاليد أوربا والبحر المتوسط كما كانت على الدوام موفقة في تحويل مآسيها وآلامها الشخصية إلى قصائد رائعة تحفل بالمحبة والعطف والاحتضان الشجاع للآخرين ممن يفتقرون إلى الأمان والحماية من الفقر والاضطهاد

الأقدامُ الصغيرة

أقدامَ الطفلِ الصغيرةَ
الزرقاءَ، الزرقاءَ من البردِ،
كيف يرونَكِ ولا يُنجِدون؟
كيفَ   كيفَ يا إلهي.

أيتُها الأقدامُ الجريحةُ الصغيرةُ
التي رضَّها الحصى
وآذاها الثلجُ والتراب

لأنَّ الناسَ عُميٌ لا يحفَلون
بأنكِ أينَما خطوتِ
تركتِ زهرةً   من ضياءٍ بهيج
وأنكِ أينما وضعتِ
أعقابكِ الصغيرةَ المدماةَ

تنهضُ نرجسةٌ تفوحُ بالأريج.

لكنكِ شجاعةٌ
لكنكِ دونَ خطيئةٍ
مادمتِ تمضينَ رغمَ ذاك
في الشوارعِ المستقيمة

أقدامَ الطفلِ الصغيرةَ
يا جوهرتينِ صغيرتينِ شقيّتين
كيف يمرُّ الناسُ بكِ
ولا يُبصِرون؟

الأمُّ الحزينة

نَم يا حبيبي، نَم
دونَ خوفٍ   دونما قلقٍ
رغمَ أنَّ الروحَ مني لا تنام
رغمَ أنني   لا أستريح

نَم، نَم ولتكن همساتُكَ
في ذا الليلِ أنعمَ
من وريقةِ عشبٍ
أو جَزَّةِ حَمَلٍ كالحرير

ليتَ جسدي يهجعُ فيكَ
وجزَعي   وارتعاشي
ليتَ عينيَّ تُغمضانِ بداخلك
ويرقُدُ فيكَ قلبي

الذينَ لا يرقصون

طِفلٌ مُقعَدٌ نادى.
كيفَ لي أن أرقصَ؟
دع قلبكَ يرقصْ
هكذا أجَبناه

ثم سألَ مريضٌ عاجز
كيفَ لي أن أُغَنّي ؟
فليُغَنِّ قلبُك
هكذا أجبناه

وانبرتْ الشوكةُ الذابلةُ المسكينةُ
ولكن، كيفَ لي أن أرقصَ؟
دعي قلبَكِ ليطيرَ مع الريح
هكذا أجبناها

وتكلَّمَ الربُّ من الأعالي.
كيفَ لي أن أنزلَ من سمائي؟
تعالَ ارقص معنا في الضياء
هكذا أجبناه

كلُّ الوادي يرقصُ
معاً تحتَ الشمس،
وكل قلبٍ لا يرقصُ معنا
قد استحالَ غباراً غبار

الغريبة

تتحدثُ بطريقتها
طريقةِ بحارِها البدائية
إلى طحالبَ سريّةٍ ورمالٍ مجهولة ؛
وتصلّي لإلهٍ لا شكلَ لهُ ولا وزن
عجوزٍ كموشكٍ على الموت
في حديقتنا التي أضحت شديدةَ الغرابةِ
زرعَتْ صَبّاراً وأعشاباً عجيبةً
نسيمُ الصحراءِ يملأُ قلبها بأنفاسِهِ
وهي تهوى
بعشقٍ عنيفٍ أبيضَ مكتومٍ
لو تحدَّثَتْ عنهُ لَبَدا
كوجوهِ نجومٍ مجهولةٍ
قد تعيشُ بيننا ثمانينَ عاماً
لكنها ستبدو على الدوام
قادمةً جديدة تتحدثُ بلسانٍ دفينٍ

وتأوهاتِ لا تفهمُها
غيرُ كائناتِ شديدةِ الضآلةِ
وفي ليلةِ من ألمِ عظيم
ستموتُ هنا بيننا
ولا وسادةَ تحتَ رأسِها سوى المصيرِ
والموت
الموت الصامت الغريب

أغنيـةٌ للمَنيَّـة

يا مُسَجِلَةَ الإحصاءِ العجوز
أيتها المَنِيَّةُ المخادِعة
حينَ تمضينَ في الدروب
لا لا تلتقي بصغيري.

يا من تتشممينَ روائحَ الرُضَّعِ
وتَشُمّينَ رائحةَ الحليب
جِدي الملحَ، جِدي الطَحين
ولا لا تجِدي حليبي.

أيتها الأمُّ المُضادّةُ الكونيةُ
يا مَن تلقُطينَ الناسَ
على الشواطئِ والطرقاتِ الفرعية
لا تلتقي بذاك الصغير

اِنسي اسمَ عِمادِهِ
والزهرةَ التي يكبرُ معها
انسَيهما يا حافظة
أضيعيهما   يا مَنِيَّة

ليتَ الريحَ والملحَ والرمال
يُصِبنَكِ بالجنون   يخلطنَ عليكِ الأمور
حتى لا تعودي تفرِّقين
مثلَ سمكةٍ في البحرِ..
شمالَكِ من يمناك
أو أمٍّ من طفلِها
وفي اليومِ المعلوم
في الساعةِ المعلومةِ
لن تجدي غيريَ   فتأخذيني

الــوردة

الكنزُ في قلبِ الوردة
كنزُ قلبكِ أنت
أنثرهُ كما تفعلُ الوردة
وتصيرُ آلامكَ صنوَ آلامها

أنثرهُ في أغنيةٍ
أو في رغبةِ حبٍّ عظيمة
لا تقاومِ الوردة
وإلا احترقتَ بنارِها

لســتُ وحيــدة

هذا الليلُ مهجورٌ
من جبالِهِ إلى البحرِ
لكنني أنا التي تؤرجِحُكَ
لستُ وحيدةً

هي ذي السماءُ إنها مهجورةٌ
فقد هوى القمرُ في البحرِ
لكنني أنا التي أحملكَ
لستُ وحيدة

ها هو العالمُ إنه مهجورٌ
وكلُّ الكائناتِ حزينةٌ في ناظريك
لكنني أنا التي أحضنك
لستُ لا لستُ وحيدة

غابـةُ الصنـوبــر

لنذهبِ الآنَ إلى الغابة
ستَمُرُّ الأشجارُ أمام وجهِك
وسأتوَقَّفُ وأقدِّمُكَ لها
لكنها لن تستطيعَ الانحناء
الليلُ يحرسُ مخلوقاتِهِ
خلا أشجارَ الصنوبرِ التي لا تتغير
هذي الينابيعُ الجريحةُ العجوز
التي يسيلُ منها اللّبانُ المبارَكُ
والأصائلُ الأبديةُ
لو استطاعتِ الأشجارُ لرَفَعَتْكَ
وحَمَلَتكَ من وادٍ لواد
ونقَّلَتْكَ من ذراعٍ لذراعَ
كطفلٍ يجري
من أبٍ لأب

احتفالٌ سنوي

نمضي ونمضي صوبَ اللقاء
لا نائمينَ ولا يقظين
غافلينَ أننا   قد بلغناهُ
وأنَّ هذا   كمالُ الصمتِ،
وأنَّ الجسدَ   زال واختفى
وما زال النداءُ غيرَ مسموعٍ
وما زال المنادي مخفياً وجهه

ولكن يا حبيبي
هذه قد تكون
جائزةَ الوجهِ الأبدي
الذي لا وجهَ له
والمملكةِ التي   لا شكل لها

أن أراه من جديد

أإلى الأبد؟ إلى الأبد؟
لا في الليالي التي
تعجُّ بالنجومِ الخافقات
لا في ضياءِ الفجرِ البِكرِ
ولا في أماسي الأُضحِيات؟

ولا بأطرافِ الطريقِ الشاحبِ
المحيطِ بالحقول
أو صخورِ نبعٍ راعشٍ
يضيئه بدرٌ واهن؟

ولا تحت ضفائرِ الغابةِ الأثيثةِ المحلولةِ
حيث كان الليلُ يدهَمُني
وأنا أنادي باسمِهِ؟
ولا في الكهف الذي كان

يرددُ صدى ندائي؟

لا أريدُ سوى
أن أراهُ من جديد
لا يهمُّني أين.
في مياهِ النعيمِ الساكنة
أو في دوّامةٍ تغلي
تحت أقمارٍ رائقةٍ
أو رعبٍ يُنشِّفُ العروق.

وأن أكونَ معه
في كلِّ ربيعٍ وشتاء
متحديَنِ في أنشوطةٍ
موجِعةٍ واحدةٍ
حولَ عنقهِ الدامي.



-٨-

كريستينا جورجينا روسيتي

(١٨٣٠-١٨٩٤)

شاعرة إنكليزية، ولدت وعاشت في لندن واحتلت موقعاً بارزاً في سجل الشعر الإنكليزي لقصائدها الرقيقة ذات النزعة الصوفية وقصائدها المحببة للأطفال.

في عام ١٨٤٧ نشر لها جدها في مطبعته الخاصة أولَ مجلد من أعمالها "أشعار مما بشر بنبوغها المبكر. وفي عام ١٨٥٠ نشرت سبعا من بواكير قصائدها تحت اسم مستعار في مجلة «الأصل» التي أصدرتها جماعة «ما قبل الرافائيلية»[١] وتطوعت لتكون «موديلاً» لعددٍ من رسوم أخيها غابرييل وغيره من الرسامين الـ «ما قبل الرافائيليين» رغم أنها لم تكن عضواً في الجماعة.

---

(١) Pre-Raphaelites وهي جماعة تأسست عام ١٨٤٨ من مجموعة من الفنانين والشعراء والنقاد تقدمها الرسام والشاعر غابرييل روسيتي (شقيق الشاعرة) وكان من أهدافها مواجهة النزعة الكلاسيكية الجديدة ومادية العصر الفكتوري والعودة إلى التقاليد الفنية للقرون الوسطى وبداية عصر النهضة التي سبقت ظهور الفنان الإيطالي رافائيل، وكانت في العموم ذات نزعة شبه دينية. أصدرت الجماعة عام ١٨٥٠ مجلتها (الأصل) (The Germ) التي استمرت فترة وجيزة.

اتسم الكثير من أعمال الشاعرة بالطبيعة الدينية ومواضيعِ الزهدِ في الحبِّ الدنيوي والتشاؤم والاهتمام بالموت كما يظهر في قصيدتها "صعود التل"، لكن قصائدَ أخرى مثل «عيد الميلاد» كانت تحفل بالرومانسية والحسّية.

اشتملت أعمالها على العديد من الأساليب والأشكال وكانت سونيتاتها وقصائدها الغنائية والعاطفية وأراجيزها الفكاهية وقصائدها الموجهة للأطفال تدل جميعاً على عقل خصب وشاعرية عالية. قضت الشاعرة السنوات الخمس عشرة الأخيرة من حياتها في شبه عزلة انصرفت فيها إلى تأملاتها الدينية لكنها كتبت خلالها بعضا من قصائد الأطفال الرائعة جُمِعت في كتاب صدر عام ١٨٧٢.

صعـودُ التــلِّ

وهل يتلوّى الدربُ صُعدا طوالَ الطريق؟
نعم إلى آخرِ الشوط
هل ينقضي النهارُ كلُّه في السفر؟
من أولِ الصبحِ إلى الليلِ يا صديق
لكنْ أهناكَ مكانٌ للراحةِ في الليل؟
ثمةَ سقفٌ حين تبدأُ الساعات البطيئةُ الظَلماء
ألن يخفيهِ الظلامُ عن ناظري؟
لا لن تُخطِئَ ذلكَ النُزلَ
وهل سألاقي في الليلِ غيري من المسافرين؟
الذينَ مضوا قبلك
وهل أطرقُ البابَ أم أنادي حينَ أكونُ على مرمى البصر؟
لن يجعلوكَ تنتظرُ على الباب
وهل سأجدُ الراحةَ من ضعفي، وضنايَ من السَفرِ؟
نعم، لكدحِكَ ستلاقي الجزاء
وهل هناك أسِرَّةٌ تكفيني وكلَّ السائلين
نعم نعم أسرَّةٌ لكلِ من يجيء

عيـدُ ميــلاد

قلبي طيرٌ يغنّي
عشُهُ في أملودٍ طري
قلبي شجيرةُ تفاحٍ
أغصانها مثقلاتٌ بالثمر
قلبي قاربُ قوسِ قزحٍ
يخوضُ في البحرِ الساجي
وقلبي أسعدُ منهم جميعا
فقد جاءني حبيبي

أقِمْ لي منبراً من زغَبٍ وحرير
زيّنه لي بالفراءِ والأرجوان
زخرِفْهُ بتصاويرِ الحمائمِ وأغصانِ الرمانِ
وطواويسَ بمائةِ عينٍ
جمِّلهُ بالتِبرِ وعناقيدِ العسجدِ
وبالأغصانِ وزنابقِ الفضّةِ
فها قد جاءَ مولدُ حياتي
ها قد جاءني حبّي

أرضُ الأحــلام

حيثما تذرفُ الأنهارُ الظليلةُ
أمواجَها نحوَ الأعماق
ستَراها مستسلمةً لرقادِ ساحر
فلا توقِظها
قد قدمت من مكان قصي
تقودُها نجمةٌ وحيدة
لتبحثَ حيثما تكونُ الأفياءُ
عن قسمتِها السعيدة

قد غادرَتِ الصبحَ المورَّدَ
قد غادرَتْ حقولَ القمحِ
إلى الشفقِ البارِدِ المهجورِ
وينابيعِ الماءِ
ومِن خلالِ النومِ

كما من خلالِ خمارٍ مسدلٍ
ترى السماءَ الشاحبةَ
وتُنصِتُ للعنادلِ التي
تنشدُ أغنياتها الحزينةَ

تسّاقَطُ الراحةُ
الراحةُ، كمالُ الراحةِ
على جبينِها والصدرِ
وجهُها صوبَ الغربِ
صوبَ الأرضِ الأرجوانيةِ
ليس في وسعِها أن ترى القمحَ
ينضجُ فوقَ التلِّ والسهل
ليس في وسعها أن تحسَّ بالمطرِ
الساقطِ على يدِها

الراحةُ، الراحةُ الأبديةُ
فوقَ الساحلِ الذي كسَتْهُ الطحالبُ
الراحةُ، الراحةُ في أعماقِ القلبِ

حتى يتوقفَ الزمانُ
نومٌ لا يوقظِهُ ألم
ليلٌ لا يقطعُهُ صباح
حتى يباغتَ الابتهاجُ
سلامَها الكامل

الحلـم الحـب

بين الزنابقِ يَرقدُ الحبُّ الفتيُّ
نائما في ربيعِ أيّارَ
في حضنِ الضياءِ الرقيق
تقترِبُ الحملانُ البيضُ ناظرةً
وتدنو الحمائمُ البيضُ لتبني أعشاشَها
ومِن حولها شجيراتُ أيارَ
تتلفَّعُ بالبياض

ناعمُ الطحالبِ وسادةٌ
لِخدود أشدّ نعومةٍ
وتلقي عَريضاتُ الأوراقِ
ظِلالها على الأعينِ الثقالِ
هناك الريحُ والماءُ
تُنعِسُها الهدهداتُ
فتسكُتُ إلا لماماً

هناك يتسكعُ الغسقُ
طويلا في السماء

يرقدُ الحبُّ الفتيُّ ويحلمُ
لكنْ من يعبُرُ الأحلامَ؟
إشراقةُ شمسٍ خالصةٌ
على حفيفِ ذُرى الغاباتِ
أم ضياءُ قمرٍ خالصٍ
فوق رقراقِ الجداولِ
أم سكونٌ خالصٌ
أم أغنيةٌ لشفاهٍ عزيزةٍ

أحرِقِ الطِيبَ حولَه
وأملأْ بهِ الهواءَ الناعسَ
وأنسجُ حولهُ صامتَ الرقصاتِ
غُدوّاً ورَواحاً
آهٍ، ذاكَ إن الرؤى في الصحوِ
ليست جميلةً كما في المنام
والصمتَ والغناءَ

ليسا كما على الأرض

يرقد الحب الفتي
حتى رحيلِ نهاراتِ الصيفِ
ويحلمُ ويُسلِمهُ النعاسُ
إلى نومٍ كاملِ النقاءِ
ليرى إلى الجمالِ الذي
ما وقعَتْ عليه عينُ الشمسِ
ويجرّبُ الينابيعَ التي
ما لِعُمقِها قرار

تهدهِدُه الموسيقى الخالصةُ
وتقودُه إلى حيثُ راحتِه
وفي وقفاتِها القصارِ
يسودُ خالصُ السكون
آه، أسكبْ أصواتَ الأرضِ
من الشرقِ للغرب
وأسكبُ سكونَ الأرض

بين راحتيها الجليلتينِ

يرقدُ الحب الفتيُّ
ويُميلُهُ الكَرى
إلى الموتِ المخدَّر
وتوغلُ الظلالُ النديّاتُ
فوقَ الوجهِ النائمِ
هكذا يسقطُ الصيفُ
بأنفاسٍ دافئاتٍ عِذاب
وبماذا سيعوِّضُنا الخريف؟

لتنسدلْ ستائرُ الغصونِ
الخضراء كلّ حين،
هيهات إن يلمسَها تقلّبُ الزمانِ
بأصابعهِ الآفلاتِ الذابلات
وهنا قد تُطلِعُ بواكيرُ البنفسجُ
أكمامَها التي لا تُرى
ولربما عادتْ حمامةٌ
لتبني هاهنا عشَّها

سـراب

الأملُ الذي رجوتُهُ   لم يكن غيرَ حلم
وها أنا الساعةَ أصحو
مُنهَكةً مُضناة شائخة،
من أجلِ حلم

علَّقتُ قيثارتي على شجرة،
على صفصافةٍ باكيةٍ في بحيرة
هناك علقتُ قيثارتي قصيمةً موجَعَةً
مِن أجلِ حلم

نَمْ دون حَراك
نم حَراكٍ يا قلبي الكسير
نم دونَ حراكٍ وتحطَّم يا قلبي الصامتَ
العالَمُ والحياةُ   ونفسي أنا
كلُّهم تغيروا
من أجلِ حلم

بنــتٌ لحَــوّاء

مغفَّلَةً كنتُ
حينَ نمتُ في الظهيرةِ
واستيقظتُ حينَ صقَّعَ الليلُ
تحتَ قمرٍ باردٍ لا يهَبُ السُّلوان
حمقاءَ كنتُ حين اقتطفتُ وردتي باكراً
حمقاءَ كنت حين انتزعتُ زنبقتي

حديقتي ما اعتنيتُ بها
وانطفأتْ وهُجِرتْ
وبكيتُ كما لم أبكِ قبلا
آهِ قد كان صيفا حين نِمْتُ
وها أنا أصحو والشتاءَ

قل ما تشاءُ عن الربيعِ الذي سيجيءُ
والغدِ الجميلِ الدافئ

فأنا وقد عَريتُ من كلّ أملٍ
وحيدةً أجلسُ والحسرةَ
ولن أضحكَ بعدُ
لن أغنّي بعد

في العمق

آهِ لماذا بُنيَتِ السماءُ بعيدةً هكذا؟
ولماذا الأرضُ قصيّةٌ
فلا أستطيعُ الوصولَ
لأقربِ نجمةٍ تتدلى
عائمةً في السماء؟

لا يهمُّني أن أبلغَ القمر
تلكَ الكتلةَ التي تتبدلُ في رتابةٍ
وتُكرِّرُ لحنَها
بعيدا عن مَرامي

لا أرقبُ نارَ النجومِ المتطايرةَ
أو ذيلَ الشمسِ الذي تجرُّهُ في الأعقابِ
لكنَّ قلبي مسكونٌ بأمنيةٍ وحيدةٍ

من غيرِ جدوى

لأنني مكبلةٌ
بيدينِ من لحمٍ ودم
ترى السعادة والجَمال
بعيدَينِ عن مَداي
ولهذا أشدُّ على قلبي
وأمد يديَّ
لأُمسِكَ بالأمل



-٩-

آنّا أخماتوفا

Anna Akhmatova

(١٨٨٩-١٩٦٦)

آنا أخماتوفا (واسمها الحقيقي آنا أندرييفنا كورينكو) شاعرة روسية/سوفيتية تركت أثراً عميقاً على الشعر الروسي الحديث. تناولت في أعمالها (التي تراوحت بين المقطوعات القصيرة البسيطة إلى المطوّلات المركّبة) مواضيع مثل الزمن، الذكريات، الحب، الخيانة، مصير المرأة المبدعة، وصعوبات الكتابة والعيش في ظل الستالينية. ترجمت أعمالها إلى العشرات من اللغات وعُدَّت واحدة من أشهر الشعراء الروس في القرن العشرين.

ولدت أخماتوفا في أوديسا – أوكرانيا وبدأت الكتابة في سن الحادية عشرة متأثرة بشعرائها المفضلين راسين وبوشكين وباراتينيسكي، وعندما رفض والدها رؤية اسمه «المحترم» على قصائدها المطبوعة اختارت تبني لقب جدتها التتارية اسماً فنّياً لها.

حظيت آنا بإعجاب وحب العديد من شعراء روسيا وتزوجت عام ١٩١١ الشاعر «نيقولاي غومليوف» الذي سرعان ما تركها متوجهاً إلى صيد الأسود في أفريقيا ثم إلى ساحة الحرب العالمية

الأولى غير مدرك لأهمية شعرها حتى فاجأه الشاعر الشهير «الكسندر بلوك» بأنه يفضّلُ شعرها على شعره!

نشرت مجموعتها الأولى «المساء» عام ١٩١٢ وحازت على الكثير من الإعجاب والثناء والشهرة حتى أن روسيا كانت بحلول عام ١٩١٤ – موعد صدور مجموعتها الثانية – تعج بالآلاف من الشاعرات اللاتي يكتبن الشعر على الطريقة «الأخماتوفية» مما دفعها إلى التعليق قائلة: «لقد علّمتُ نساءنا كيف يتحدثن، لكنني لا أعرف كيف أسكِتُهن!».

بعد انهيار زواجها ارتبطت أخماتافوفا خلال الحرب العالمية الأولى بالشاعر وفنان الموزائيك «بوريس أنريب» الذي كتبت عنه ما لا يقل عن ٣٤ من قصائدها وقام بدوره بتجسيدها في العديد من لوحاته التي حُفظ بعضُها في عدد من المتاحف العالمية.

أُعدم زوجها الأول عام ١٩٢١ لنشاطاته المعادية للثورة فتزوجت عالمَ الاشوريات البارز «فلاديمير شيليجكو» ثم الباحث الأدبي «نيقولاي بونين» الذي توفي في معسكرات الأشغال الشاقة. أدينت بعد عام ١٩٢٢ لـ «ميولها البورجوازية» ولم تنشُر بعدها إلا نادراً حتى الحرب العالمية الثانية وحصار لينينغراد الأسطوري فكتبت العديد من أشعار المقاومة البطولية التي وجدت طريقها إلى جبهات القتال كما إلى الصفحات الأولى من صحيفة "البرافدا". غير أن «أندريه جدانوف» المسؤول عن الثقافة في عهد ستالين وصَمَها عام ١٩٤٥ بأنها «نصفُ مومسٍ ونصفُ راهبة» ومنع

وصائدها من النشر وسعى إلى طردها من اتحاد الكتاب وسُجن ابنها في معسكرات العمل القسري حتى اضطرت إلى كتابة بعض المدائح لستالين لتأمين إطلاق سراحه

بعد وفاة ستالين أُعيد إليها الاعتبار وصدرت طبعة خاضعة للرقابة من أعمالها وأصبح منزلها الريفي مزاراً للأدباء الروس أمثال جوزيف برودسكي وزملائه الذين واصلوا تقاليد أخماتوفا ومدرسة سان بطرسبرغ حتى هذا القرن والأجانب أمثال شاعر أمريكا الكبير روبرت فروست كما أقيمت لها احتفالاتٌ تكريمية بمناسبة بلوغها الخامسة والسبعين وصدرت طبعة خاصة من أعمالها حظيت أخماتوفا بشهرة كبيرة في الغرب ونالت التكريم ونشرت أعمالها الشعرية والنثرية في كثير من بلدان العالم كما حصلت على الدكتوراه الفخرية من جامعة أوكسفورد ولم تتوقف شهرتها بوفاتها، وفي الذكرى المئوية لولادتها صدرت أخيراً مجموعتها قداسٌ لراحة الموتى التي منعت من النشر خلال حياتها، وتحولت شقتها إلى متحف يرتاده محبوها، وأقيم لها تمثال في سنت بطرسبرغ كما أطلق اسمها على أحد الكواكب الصغيرة التي اكتشفها اثنان من علماء الفلك السوفييت عام ١٩٨٢

أنت يا من ولدتَ..

أنتَ، يا مَن ولِدتَ لتخلقَ القصائدَ
لا تُعِد ما قالَ الأوّلون
رغم أن شِعرَنا نفسَه
ربما لم يكنْ
غير اقتباسٍ واحدٍ جميل

ستعيشُ أنت، أما أنا فلا

ستعيشُ أنت، أما أنا فلا
ربما كان ذا الانعطافَ الأخير
آهِ، بأيِّ جبروتٍ تمسكُ بخناقنا
مكيدةُ القدرِ الخفيّة

وتصيبنا، كلاً بطريقته
كلا بقسمتهِ، بدورهِ، بعنفوانه
نعم، فالذئبُ
لا بد أن يُصاب

في الحريةِ تكبرُ الذئابُ
يشتدُّ ساعِدُها
لكن آجالَها قصيرة
في الثلج، في الجليد، بين الحشائش

كلُّ ذئبٍ   لا بد أن يصاب

لا تبكِ يا صديقيَ العزيز
لو سمعتَ يوماً
في الحَرِّ أو في البرد
ندائيَ اليائسَ الحزين
قادماً من دروب الذئاب

لم هذا القرنُ أسوأُ

لِمَ هذا القرنُ
أسوأُ من غيره؟
ربما لأنه، في هذا الحزن والخطر
لامَسَ، لامسَ فحسب
أكثرَ القروحِ سواداً
ولم يستطع في دورتهِ شفاءَها

هناكَ في الغربِ
تنعِمُ الشمسُ الدنيوية بنور الصباح
على سقوفِ المدائنِ
لكن الأبيضَ هاهنا يسبقها
يسِمُ بيتاً، يستدعي غرباناً
وتطيرُ الغربان

أرملةٌ في ثياب الحداد

أرملةٌ في ثياب الحِداد
والخريفُ الباكِي يكسو القلوبَ
بغَمامٍ كئيب
لا لن تكفَّ عن ندبِها العالي
وكلماتُ زوجها
ترنُّ في بالها
هكذا ستظلُّ حتى
تمنحُ أنفاسُ الثلجِ
هذه المُتعَبةَ الهزيلة
بعضاً من الرحمة
وما الذي نرجوه
غير نسيانِ الحبِّ والعذاب
رغم أننا ندفعُ الثمن
من سنينِ العمر؟

ترابنـا الوطنـي

ما من شعبٍ على الأرض ساذجٍ،
متشامخٍ، عصيَ الدمع مثلنا
١٩٢٢

لا نحملهُ قلائدَ على الصدور
لا نرثيهِ في القصائدِ
لا يوقِظُنا من نومِنا المرير
لا نراها عدنَ الموعودة
في قلوبنا لم نجعلْهُ يوماً
مادةً لتنازعِ الصفقات
وحين نمرضُ أو نحزنُ
أو نسقط فوقه منهكين
نعجزُ عن رؤيتهِ أو حتى معرفتِه
نعم، هذا الوحلُ على الأقدام يناسِبنُا تماماً
نعم، هذا الطحنُ على الأسنان يناسبنا حقاً

نعم، هذا الغبارُ الخالصُ
الذي لا يصلحُ للبناء
ندوسُهُ ليلَ نهار
لكننا نرقدُ فيه ولا نصيرُ إلاّه
من أجلِ هذا نسمّيهِ واثقين
ترابَنا نحن

الموسيقى

ثمّةَ شيءٌ سماويٌّ
يتَّقِدُ فيها من الأزل
كم أحبُّ أن أراقب
أسطحَ هذي الجوهرةِ العجيبةِ إذ تنمو
إنها تتحدث معي في نوبات القَدَر الكثيرة
حين يخشى الآخرونَ الدنوَّ منها

وحين يلقي آخرُ الأصدقاءِ
عليَّ نظرة الوداع
سترقدُ قربي في سكون
وتغنيَّ
كعاصفةِ ربيعٍ راعدةٍ
كأنَّ كلَّ الورود
شرعَتْ في الحدائقِ بالحديث

قد ولدتُ في الوقت المناسب

أنا، في الإجمال
ولدتُ في الوقتِ المناسبِ،
في عصرٍ مبارَكٍ بين العصور
غير أن الربَّ العظيم
لم يدَعْ روحي
كي تعيشَ على هذهِ الأرضِ
دونَ خديعةٍ
ولهذا بيتي مظلِمٌ
ولهذا كلُّ صِحابي
كطيورٍ حزينةٍ تنهضُ في المساءِ
وتغنيَ للحبِّ، للحبِّ الذي
لم ينزلِ الأرض

قراءةُ هاملت

الأرضُ التي عندَ المقابرِ
كانت أرضاً متربةً   ساخنة
والنهر من ورائها   باردٌ كئيب
وقلتَ لي   حسناً، اذهبي إلى الدَيرِ
أو تزوجي أحمقاً ما
هكذا يتحدثُ الأمراءُ دوماً
قاسينَ كانوا أو طيبين
لكنني أعِزُّ هذا الحديثَ الأخرقَ الوجيز
ألأ فلينسدلْ، وليُشرق لآلافِ السنين
كمعطفِ فرو على الأكتاف

٢

وكما لو بالخطأ
قلت لك   أنتَ

وأضاءت بسمةٌ رخيةٌ من سعادة
وجهكَ الحبيب

من زلات لسانٍ كهذهِ
مسموعةٍ أو في العقل
يتورد كلُّ خدّ
أحبّكَ كما لو أن أربعينَ أختاً
ناعماتٍ رقيقات
أحببنكَ وباركْنك



-١٠-

كيم أدونيزيو

Kim Addonizio

(١٩٥٤-...)

شاعرة أمريكية معاصرة. وُلدت في واشنطن عام ١٩٥٤ ونالت شهادة الماجستير في الآداب من جامعة سان فرانسيسكو. من مؤلفاتها الشعرية: ثلاث نساء من الساحل الشرقي (بالاشتراك) ١٩٨٧، نادي الفيلسوف ١٩٩٤، جيمي وريتا ١٩٩٧، قل لي ٢٠٠٠ (وهو العمل الذي تنافست فيه على الجائزة الوطنية للكتّاب).

أما مؤلفاتها الأخرى فتشمل: في صندوق يدعى اللذة (مجموعة قصصية) ١٩٩٩، رفيق الشاعر: دليل إلى متعة كتابة الشعر ١٩٩٧.

حصلت على العديد من الأوسمة والألقاب الفخرية. تعمل حاليا في التدريس الجامعي بولاية سان فرانسيسكو.

ما يخافُهُ الموتى

في ليالي الشتاء
يرى الموتى تصاويرَهم
تنزلقُ من النوافذِ الشفّافةِ لمحافظِ النقودِ،
ورسائلَهم محشورةً في صندوقٍ
مع الثيابِ المعَدّةِ للتبرع.

لا أحدَ يتذكرُ نكاتَهم
وعاداتِهم العصبيةَ
وخوفَهم من الأماكنِ المغلقة.

في هذهِ الكوابيسِ يشعر الموتى
بالضغطِ اللطيفِ للمَماحي
إذ تمسَحُ عظامَهم.
يستيقظون في هلعٍ
يقومون لأجلِ كأسٍ من حليب

فيبصرونَ القمرَ، والثلجَ النازلَ حديثاً
والأشجارَ العارية
وربما يعِدّون شطيرةً من ديكٍ رومي
أو يتفرجونَ على التلفاز الذي
يبثُّ شاراتِ الإرسال

إنه حلمٌ على كلِّ حالٍ
وفي غضون أشهر
سيقدِّمونَ عقاربَ الساعاتِ
وسيعرفونَ حينَ ينامون
بأنَّ الأحياءَ
يتوجَّعونَ لأجلهم
ويعانونَ من وحدةٍ لا تُطاق
ولا يبالونَ بالجَمال
في هذي الليالي يشعرُ الموتى
أنهم أفضلُ حالاً
وحين ينهضونَ في الصباحِ
ويبصرونَ باقاتِ الزهور
أمامَ أسمائهِم

يبتسمونَ كعرائسَ خَفِراتٍ

يقولون. شكراً، شكراً

لماذا أتعَبتُم أنفسكم؟

يقولونَها ولكن في رِقَّةٍ بالغة

فتبدو كهفيفِ ريحٍ.

كشيءٍ لا يمُتُّ للبشر

كلبُ الطابقِ العلويِّ الصغيرِ
الذي لا يَكفُّ عن النباح

توقَّفَ فجأةً، وفي غمرةِ الهدوء
أنتظِرُهُ كي يعاودَ، وأتخيَّلُه
رأيتُه سابقاً، بخصلاتِهِ المُلتفَّةِ البيضاءَ
ووجهِهِ القلِقِ المدعوس.
محدقاً في الفضاءِ، أكثر حزناً
من أن يجهرَ بالشَكاة
فيَخمَدُ مع حسرةٍ
في المقعد المنَجَّدِ كجلد النمور
ويواجهُ لااكتراثَ البابِ الخشَبيّ

الشعرُ، في النهايةِ، ضربٌ من نِباح.
عَو عَو عَو
فليَعُدْ أحدُكم رجاءً
أخرِجوني من البيت

لألعبَ بين سيقانِ الزهورِ
هدهدوني في أحضانِ جنسكِم الطويلِ الغريب
امنحوني بسكوتةً على شكلِ عظْمة

والآنَ   أنا الأخرى أرتمي في هدوء
وساعةُ المطبخِ تمضي بنقراتِها
تهمسُ . أحبوني
للمِقلاةِ والقدور
لحافظةِ الصحونِ السلكيّةِ
لعلبِ الحَساءِ والفاصولياء
وآهِ يا مملَحةُ   آهِ يا وعاءَ السُكّر

المكالمـــة

رجلٌ يفتحُ مجلةً
نساءٌ عاريات
بأعيُن محجوباتٍ
يطلب رقماً
ويدندنُ لحنَ إعلانٍ تجاري
صوتٌ يخبرُهُ أن بوسعهِ
أن يفعلَ بها ما يشاء
يتخيلُ أنه أوقفَها إلى الجدار
وهي تردّدُ   أوه يا فتاي   أنتَ ممتاز.
الوقتُ متأخرٌ، والمرأةُ في الطرفِ الآخرِ
تتثاءبُ   وتجرجرُ السلكَ إلى الصالة
كي تطمئنَّ على صغيرتِها
الملتفّةِ حولَ نفسِها
وإحدى رجليها خارجَ الأريكةِ
تثبت المرأة السماعةَ فوق كتفها

وتسحبُ طرفَ الملاءةِ وهي تهمسُ.

نعم افعَلْها نعم

تذهبُ إلى المطبخِ

تفتحُ علبةً أخرى من البيبسي القليلِ السعراتِ

وتتساءلُ كَم سيستغرقُ الأمرُ منه

وأينَ ستجدُ معطفاً شتويا رخيصاً

تتذكرُ الفواتيرَ

فتطفئُ الضوءَ

هوَ ما زالَ يردّدُ. قريباً

ويديرُ كرسيَّهُ ذا العجلاتِ

يميناً، يساراً، ويميناً

ثمةَ أنبوبٌ يتدلى من تحتِ كمِّ سرواله

يظنُّ أحيانا

أنَّه يشعرُ بشيءٍ ما،

فيتوقفُ عن الحديثِ

ليركِّزَ على الحركةِ في الأسفل

هلو تقول المرأةُ أما زلتَ معي؟

تفركُ عينيها

فتعلقُ الظلالُ الزرقاءَ بأصابِعها

وفوقَ الهسيسِ الضعيفِ الحادِّ
للخَطِّ المفتوحِ
تسمعُ صوتَ العجلاتِ
إذ تخبطُ بين المائدةِ والجدار.
«ماذا جرى؟» تسألُ المرأةُ فيجيبها:
«لا شيء»
ويُنصتانِ إليهِ معاً.

ضريحٌ في جيمايو[1]

هدوءٌ كاملٌ.. بين تماثيلِ القدّيسين،
النذورُ تنفدُ واحدةً بعدَ أخرى
والعجوزُ الهنديّةُ تكشِطُ الشمعَ والفتائلَ المستهلَكة.

يشرقون بالحزنِ من جديد.
صورُ الموتى مثبَّتةٌ
في زوايا الأيقوناتِ المؤطَّرة
وأقراصُ الهويَّةِ تتدلى[2]

---

(١) Chimayo بلدة صغيرة في ولاية نيومكسيكو الأمريكية فيها كنيسة كاثوليكية صغيرة تعد أكبر مقصد للحجاج الكاثوليك في أمريكا حيث يزورها سنوياً ٣٠٠ ألف زائر لاعتقادهم بأن تراب إحدى غرفها الخلفية له قدرة عجيبة على شفاء المرضى!

(٢) قرص الهوية أو الصفيحة الكلبية: dogtag صفيحة معدنية تعلق بطوق الكلب لغرض التعرف عليه. ويعني أيضاً: القرص المعدني الذي يعلقه الجنود في رقابهم متضمنا الاسم والعنوان والديانة لغرض التعرف على جثثهم!!

من صليبِ الصفيحِ المخرَّمِ. جيم إسكاليرو،
الرقمُ   صنفُ الدمِ   كاثوليكيٌ
حتى السائحونَ مضطرونَ للصمتِ
إزاءَ هذا القدرِ
من دلائلِ التقوى

في الغرفةِ خلفَ المذبحِ
ثمةَ ثقبٌ لحفظِ الترابِ
الذي يُقالُ بأنه يُشفي
إليه يأتي العميانُ
ومَن تحطَّمَت قلوبُهم
فيجثمونَ ويتناولونَ حفنةً منهُ
ثم يتركونَهُ   كي يتسللَ مِن بينِ أصابعهم

في كلِّ عصرٍ
تدسُّ العجوزُ شموعاً جديدةً في أغمادِها
وتبرُقُ أضواءُ الكاميراتِ العشوائيةُ
مثلَ أرواحٍ
تدخلُ العالمَ أو تهجرُهُ
وكلٌّ منها
له نفسُ ذاكَ البريق

عيد سنوي وهمي

تخيَّلْ أنَّ الزواجَ قد دامَ
وأنَّ الزنابقَ ناضِرةٌ في مزهريتِها السوداءَ
كلَّ هذي السنين
وأنَّ الماءَ ظلَّ عذبا
الرجلُ والمرأةُ
ينظرانِ إلى بعضِهما
يتضاجعانِ،
يُزهِرانِ وينظران
والملائكة تنظرُ معهم
فاغرةً أفواهَها التجريديةَ الجميلةَ
كأنها توشكَ على قولِ شيءٍ
لا بالصعبِ ولا بالحقيقيّ
الرجلُ والمرأةُ غيرُ مكترثَينِ
يشحَبانِ ويشحبانِ ولا يُباليان
فيما الملائكة تضم أجنحتها
وتهوي نحوهَما مثل الحصى

ما الذي تريده النساء

أريدُ ثوباً قرمزياً
أريدُهُ رقيقاً ورخيصاً
أريدهُ ضيّقاً جداً
أريدُ أن أرتديهِ
حتى يمزِّقَهُ أحدُهم عنّي
أريده عاريَ الظهرِ، دونَ أكمامٍ
حتى لا يحتاجُ أحدٌ إلى تخمينِ ما تحتَهِ
أريدُ أن أقطعَ به الشارعَ
قُبالةَ مخزنِ الأدواتِ المعدنيةِ
بكلِّ تلكَ المفاتيحِ التي
تلمعُ في نافذتِه
قبُالةَ مقهى السيِّد ونغ وزوجتِه
حيثُ يبيعانِ الكعكَ المصنوعَ بالأمس
قبالةَ الأخوينِ غيرا
وهم يُنزِلونَ الخنازيرَ من الشاحنةِ

ويُحمّلونها في العربةِ الصغيرةِ
رافعينَ أخطامَها اللامعةَ فوقَ أكتافِهم
أريدُ أن أسيرَ كما لو كنتُ
المرأةَ الوحيدةُ في هذا العالم
وكما لو أنّ بيدي أنْ أختارَ
أريدُ ذاك الرداءَ الأحمرَ بشِدَّة
أريدُهُ لأؤكِّدَ أسوأَ مخاوفَك عنّي
أريده لأُريكَ أنّي لا آبَهُ بكَ أو بأيِّ شيءٍ
سوى ما أريد
وحينَ أعثرُ عليهِ، على الثوبِ ذاك
سأنتزِعُهُ من حمّالتِه
كما لو كنتُ أختارُ جسدا
ليحملَني في هذا العالم
عبرَ صرخاتِ الميلاد
وصرخاتِ الجِماعِ
سأرتديهِ كالعظامِ، كالجلدِ
وسيكونُ هو لا غير
الثوبَ اللعينَ الذي أُدفَنُ فيه

نهارُ السنة الجديدة

هذا الصباحَ ينزلُ المطرُ
على بقايا الثلجِ   ويغسلهُ بعيداً
بِوسعي أن أشمَّ العشبَ من جديد
وأوراقَ الشجر الممزَّقةَ
المسترخيةَ في الطين
علائقُ الحبِّ القليلةُ التي
سُمِحَ لي بالاحتفاظِ بها
ما زالت نائمةً فوق الساحلِ الغربيِّ،
وهنا في فرجينيا
أسيرُ في الحقولِ وليسَ معي
سوى بضع بقراتٍ فتِيّاتٍ
خجولاتٍ   بارزاتِ العظامِ
كالفتياتِ اللاتي ما زلتُ أذكرُهُنَّ
من المدرسةِ الثانوية
الصامتاتِ، اللاتي يُنزِلنَ رؤوسَهُنَّ على الدوام

ويُصالِبنَ أذرعَهُن

فوقَ النهودِ الجديدةِ

الفتياتِ اللاتي هنَّ مثلي الآن

في الأربعين

يقِفنَ أحيانا في آخرِ الليل

عندَ النافذةِ ينظرنَ لفناءٍ خلفيٍّ صامتٍ

بكرسيٍّ حديقةٍ وحيدٍ صدِئ

وجدرانٍ عالية لبيوتِ الآخرين

لا بدَّ أنهن

يستلقينَ في بعضِ الأصائلِ

ويبكينَ في مرارةٍ

لأجلِ كل من أسعَدَهُنَّ يوماً

يتساءلنَ كيف حملتْهُنَّ الحياةُ

هذا الشوطَ البعيدَ

ولم تقدّمَ أبداً تفسيراً لشيء

لا أعرفُ لماذا أسيرُ هنا في العراءِ

بِمِعطفي الذي يغدو داكناً

وجزمتي التي تغوصُ وتخرجُ

في صريرٍ خافتٍ يلذُّ لي سماعُه

لا يهمّني مكانَهُنَّ الآنَ
فليحتفِظْنَ بما صنَعْنَ بحياتِهِن
فأنا اليومَ لا أريدُ أن أحلَّ شيئاً
لا أريد سوى أن أسيرَ هنيهةً أخرى
في نعمةِ المطرِ الباردةِ
وأرفعَ وجهي إليه

تقاطـع

أُخَبِّئُ قلبي

في حذائيَ الطويل

عندي لكَ سكّينٌ مكسورة

لكنكَ لا تموتُ من أجلِ الحبّ، ولا تُجرحُ حتّى،

ولا خدشَ لا ثلمَ لا أوجاعَ عظام

لا صداعاً طفيفاً يبدأ من خلفِ العيون

أسيرُ فوق مُحيطٍ ميّتٍ

وتسقطُ الأسماكُ من جسمي

سقوطاً حراً

أعبدُكَ حدَّ الغرق

ما أنتَ؟ لمن أنتَ؟

في كل غرفةٍ

كلبٌ يبدأ بالضجيج

إنها أنتِ أيتها السيرينه[1]
التي أفلتَتْ من الزُرقةِ.
أربطُ نفسي إلى المائدة.
أسَمِّرُ نفسي بالسرير.
وحين تأتي المكالمةُ الهاتفيةُ القاتمة
أوقدُ في رأسي.. صمتاً جديداً.

(١) السيرينات sirens في الميثولوجيا الإغريقية: حوريات برؤوس نساء وأجساد طيور لهن صوت ساحر يغوين به الملاحين حتى يهلكون على صخور جزيرتهن. قام أوديسيوس بسدّ آذان بحارته بالشمع وربط نفسه وملاّحيه إلى صواري السفينة كي لا يقعوا فريسة إغرائهن.



-١١-
آن سكستون
Anne Sexton
(١٩٢٤-١٩٧٤)

ولدت آن سكستون في نيوتن – ماساتشوستس عام ١٩٢٨. أكملت دراستها الأولية والتحقت بالدراسة الجامعية لكنها تركتها بعد عام واحد لتتزوج وهي في التاسعة عشرة. بعد إنجابها طفلتها الأولى أصيبت عام ١٩٥٤بمرض الكآبة ما بعد الولادية وانهارت صحتها العقلية مما استدعى إدخالها المستشفى ثم ازداد تفاقم المرض بعد ولادتها لابنتها الثانية عام ١٩٥٥ فأدخلت المستشفى ثانية وفصلت عن طفلتيها اللتين أرسلتا لتعيشا مع والدي زوجها فأقدمت في عيد ميلادها في العام نفسه على أولى محاولات انتحارها. في عام ١٩٥٧ انضمت – بتشجيع من طبيبها الذي نصحها بمعاودة اهتمامها السابق بالشعر– إلى ورشة شعرية في مركز لتعليم الكبار في بوسطن وسرعان ما برزت موهبتها وسطع

نجمها وظهرت قصائدها في كبريات الصحف الأمريكية. كانت كتابة الشعر - كما اعترفت لأصدقائها - طريقتها الوحيدة لتحمل الحياة وتأجيل موتها حتى عام ١٩٧٤ حين خسرت المعركة ضد المرض العقلي ووضعت حداً لحياتها رغم ما حازته من شهرةٍ ونجاح وتكريم شمل عضويتها في الجمعية الأمريكية للفنون والآداب والجمعية الملكية للآداب وحصولها على جائزة «البولتزر» للكتاب. تعد سكستن واحدة من أبرز الشعراء الاعترافيين «confessional poets» جنباً إلى جنب مع سلفيا بلاث وروبرت لويل الذين تميز شعرهم بالجرأة والصراحة الشديدة والتطرق إلى مواضيع شديدة الخصوصية والحساسية الأمر الذي لقي ترحيبا وتقديرا من البعض واستهجاناً من البعض الآخر. أصدرت العديد من المجموعات الشعرية والنثرية وكتب الأطفال والألبومات الصوتية ونالت شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة تافت رغم أنها لم تكمل تعليمها الجامعي.

القُبلـة

فمي يتورَّدُ مثلَ جرحِ
عامٌ من القهرِ تحمّلتُهُ،
من ليالٍ مضجراتٍ ليس فيها
غيرُ أذرعٍ تآكلَتْ مرافقُها
وعلبٍ ناعماتٍ
من مناديلَ تصيحُ بي.
أيَتُها البكّاءةُ، أيتها البكّاءةُ الحمقاء

بالأمسِ كانَ جسدي عقيماً
لكنَّهُ الساعةَ ينشقُّ عندَ زواياهُ القائماتِ
ويمزِّقُ رداءَ مريمَ البالي، عقدةً بعد عقدة
هاكَ فانظرْ إنهُ مشحونٌ بالبُروق.
أزيزٌ ثم انبعاث

ولقد كانَ زورقاً، متخشّباً، مهجوراً

لا ملحَ في قعرِهِ
يحنُّ للطلاءِ
لم يكنْ أكثرَ من كومةِ ألواحٍ
لكنكَ أخرجتَهُ للماءِ، ورفَعتَ أشرعتَهُ
ونذرتَهُ للبحرِ

عروقي تتوهَجُ إنّي لأسمعُها
كَجوقٍ من الآلاتِ
وهنا، حيثُ كان السكونُ
تُقرَعُ الطبولُ
وتلعبُ الأوتارُ في جنونٍ
أنتَ فعلتَ هذا
أيها العبقريُّ في العملِ
والمؤلِّفُ يا حبيبي
خطا إلى النار

نصائحُ إلى عزيـز

احترِسْ من السُلطةِ
فقد تدفنُك حيّاً تحتَ انهياراتِها الثلجيةِ
بثلج   ثلج   ثلج قد يخنقُ جبلَك

احترِسْ من الضَغينةِ
يمكنُها أن تفتحَ أشداقَها فتطرحُ نفسَك أرضاً
لِتأكلَ ساقَكَ   كمجذومٍ منبوذ

احترِسْ من الأصدقاء
لأنك حينَ تخونُهم، كما ستفعلُ
سيدفنونَ رؤوسَهم في المراحيضِ
ويسحبون الشافطةَ ويغيبون

احترِسْ من الذكاءِ
لأنه يعرفُ كثيراً

حتى لا يعودُ يعرفُ شيئاً
ويتركُكَ معلَّقاً من رأسِك
يتشدقُ بالمعرفةِ
وقلبُكَ يَسقطُ مِن فمِك

احترسْ من الألعاب
من دور الممثلِ
من الخُطَبِ المُعَدَّةِ، المعلومةِ، المُلقاةِ
لأنها ستخذِلُك
فتقِفُ كطفلٍ عارٍ
تبولُ على مهدِك

احترس من الحبِّ
ما لم يكُنْ حقيقياً
وكلُّ عضوٍ فيكَ، حتى أصابعِ القدمينِ
يهتفُ نعم
لسوف يلفُّكَ مثل مومياءٍ
ولن يُسمعَ صراخُك
لن تكفَّ عن الجَري

الحبُّ؟ إنْ كانَ رجلاً، إن كانَ امرأة،
لا بدَّ أن يكونَ موجةً تريدُ التزحلقَ عليها
وأن تُسلمَها جسدَك، أن تسلمَها ضحكَتك
وأن تمنحَ
ساعةَ يأخذُكَ الرملُ المفروشِ بالحَصى،
أن تمنحَ الأرضَ دموعَكَ
أن تحبَّ غيرَكَ
شيءٌ كالصَلاةِ لا يمكنُ التخطيطُ له
أنتَ تسقطُ فحسب   تسقطُ في أحضانِه
لأن إيمانَك   يُبطِلُ إنكارَك

أيها العزيزُ
لو كنتُ مكانَك لما أعَرْتُ نصائحي اهتماماً
ولَمَزجْتُ في عملٍ مشتركٍ
بعضاً من كلماتي وبعضاً من كلماتِك
فأنا
لا أؤمنُ بحرفٍ مما قلتُ
إلا بعضَها
إلا كَوني أعُدُّكَ شجرة يافعةً

بأغصانٍ مُلصقَة
عالمةً أنكَ ستمُدُّ الجذورَ
وتُطلِعُ أوراقاً خضراً حقيقيةً

أفسِح الطريقَ
أفسِحِ الطريقَ أيها العزيز
كاتبةُ الطابعةِ هذه
تحبُّك وأنتَ في طريقِكَ
إلى تلكَ الأوراقِ المُرتَجاةِ
لكنّها تريدُ أن تكسرَ كؤوسَ الكريستالِ
في الاحتفالِ من أجلِك
حينَ ترمي القشرةَ المُعتِمةَ
وتحلِّقُ في الأرجاءِ
كبالونٍ يطيرُ دونَ هَدي

لعنةٌ بوَجه المراثي

لماذا يا حبيبي، نُكثِرُ الجِدال؟
قد تعبتُ مِن حديثِكِ الوَرِع
وتعبتُ أيضاً   مِن كلِّ الموتى
إنهُم يرفضونَ الإصغاءَ
فاترُكْهمْ وشأنَهم
واسحبْ قدميكَ من المقبرةِ
إنهم مشغولونَ بموتِهم؟

كان الجميعُ منهمكِينَ بإلقاءِ اللومِ
على الخُمس الأخيرِ من كأسِ الشرابِ
على الأظافرِ القذرةِ
وريشِ الدجاجِ الملتصق
بِطينِ سلالمِ البابِ الخلفي
والديدانِ التي تعيشُ تحتَ آذانِ القططِ
والواعظِ النحيلِ الشفتينِ

الذي رفض الزيارةِ
إلا في يومٍ وحيد
غشِيَتْهُ البراغيثُ
حين جاءَ يجرُّ قدميه خلالَ الفِناءِ
باحثاً عن كبشِ فداءٍ
واختبأتُ أنا في المطبخ تحت كيس الخِرَق

أرفضُ أن أتذكرَ الموتى
والموتى أنفسُهم ملّوا الأمرَ كلَّه
لكنك أنتَ   أنت تمضي قُدما
تمضي راجعاً إلى الأسفلِ
إلى المقبرةِ
وتَرقدُ حيثُ تتوقعُ وجوهَهم
وتُكَلِّمُ أحلامَك القديمةَ الفاسدةَ

شارع الرحمة ٤٥

في حلمي
حلمي الحقيقيِّ
النافذَ للنخاعِ من عظامي
أسيرُ جيئةً وذهاباً في «بيكون هِل»[١]
باحثةً عن لوحةِ شارعٍ،
عن شارعِ الرحمةِ بالتحديد..
لا.. ليسَ هناك!

أجرِّب «باك بَيْ»[٢]
ليس هناك
ليس هناك

---

(١) Beacon Hill أحد الأحياء العريقة الراقية في بوسطن، يقع فيها مبنى حكومة ولاية ماساتشوستس.

(٢) Back Bay حيٌّ آخر من أحياء بوسطن الراقية.

ورغمَ هذا فأنا أعرفُ الرقمَ:
٤٥ شارعُ الرحمةِ.
أعرفُ النوافذَ ذاتِ الزجاجِ المصبوغِ
في ردهةِ البيتِ
وطبقاتِ سلالمِهِ الثلاثَ
وأرضياتِه الخشبيةَ الملوَّنةَ.
أعرفُ الأثاثَ
والأمَّ.. والجدَّةَ.. وأمَّ الجدةِ.. والخدمَ
أعرفُ خزانةَ الخزفِ الانكليزيِّ
والزورقَ الثلجيَ، مِن فضَّةٍ خالصةٍ
حيثُ يجلسُ الزبدُ في مربَّعات متقَنَةٍ
كأسنانِ عملاقٍ غريبٍ
فوق منضدةِ الخشبِ الماغونيِّ الأحمر.
أعرفُهُ جيداً
لا، ليسَ هناك!

أين ذهبتَ
يا ٥٤ شارع الرحمة ؟
بأمِّ الجدّةِ التي تركعُ

في الخامسةِ صباحاً
في مشَدِّ خصرِها المصنوعِ من عَظمِ الحوتِ
وتتضرَّعُ. في رقةٍ وضَراوةٍ
لحوضِ الغسيلِ
وتغفو في الظهيرةِ
في كرسيِّها الهزَاز
والجدُّ يقيلُ في حجرةِ المؤونةِ
والجدةُ تضغطُ الجرسَ لخادمةِ الطابقِ السفليِّ
و نانا وهي تهزُّ أمّي
وزهرةٌ كبيرةٌ تغطّي
خصلةَ الشعرِ فوقَ الجبين
حين تكون سليمةً أو حينَ تكونُ
وحيث ولِدَت وحيث ولدتني
أماً ثالثةً في تسلسل الأجيال
ببذورِ الغريبِ التي تنمو
لتصيرَ وردةً اسمُها البشاعة

أتمشى في رداءٍ أصفر
ومحفظةِ جيبٍ بيضاءَ محشوةٍ بالسجائرِ

وما يكفي من الحبوبِ، ومحفظةِ نقودي ومفاتيحي
وأنا في الثامنةِ والعشرين
أم إنها الخامسةُ والأربعون؟
أسيرُ   وأسير
وأُشعِلُ أعوادَ الثقابِ عندَ علاماتِ الشوارعِ
فهي ظلماءُ
ظلماءُ كالموتى اليابسينِ كما الجلدُ
وأنا قد أضعتُ   فوردي   الخضراءَ
وبيتي في الضواحي
وطفليَّ الصغيرينِ
المدلَّلَين كغبارِ طلعٍ في نحلةٍ بداخلي
وبزوجٍ مسحَ عينيه
كي لا يرى باطني خارجاً
وأنا أسيرُ وأنظرُ
وهذا ليس حلماً
إنها فقط حياتي الملوَّثةُ بالزيتِ
حيثُ الناسُ يتذرعونَ
بالغيابِ عن مسرحِ الجريمة
والشوارعُ لا يمكِنُ العثورُ عليها

طوالَ العمر

أَرخي الظلالَ
أنا لا أبالي
سمِّري الأبوابَ يا رحمةُ
امسحي الأرقامَ
مزقي علاماتِ الشوارعِ
ما الذي سيُهِمُّ هذا الشحيحَ الذي
يريدُ امتلاكَ الماضي
الذي خرجَ في سفينةٍ ميتةٍ
وتركني وليس معي غير الأوراق

لا، ليسَ هناك

أفتحُ محفظةَ جيبي
كما تفعلُ النساء
فتسبحُ الأسماك جيئةً وذهاباً
بين الدولاراتِ وأصابعِ الحُمرة
فأنتشلُها واحدةً واحدة

وأرميها عند علاماتِ الشوارعِ
وأرمي محفظةَ جيبي في نهر تشارلز
وأعودُ لأنتزعَ حلمي
وأصفُقَ الجدارَ الاسمنتيَ
للتقويمِ الأخرق الذي أعيشُ فيه
بحياتي
ومفكراتِها التي انتشلتها الحبال

آنا   التي كانت مجنونة

آنا   التي كانت مجنونةً
عندي سكّينٌ تحتَ إبطي
حينَ أقفُ على رؤوس أصابعي
أنقرُ البرقيات
هل أنا مرضٌ معدٍ ؟
هل جعلتكِ تجنّين ؟
هل جعلتُ الأصواتَ بغيضةً ؟
هل طلبتُ منك تسلّقَ النافذة ؟
سامحيني   سامحيني
لا تقولي إنني فعلتُ ذلك
لا تقولي إنني
لا تقولي

صبّي كلماتٍ مريميةً في وسادتنا
خذيني طفلةً طويلةً نحيلة

في الثانية عشرة من عمرها
في أحضانك الغائِرة
اهمسي مثل أوراقِ عشبٍ
كُليني   ابتلعيني مثل حلوى الكريمة
أدخليني في فمكِ
أدخليني
أدخلي

زوِّديني بتقريرٍ عن حالة روحي
زوِّديني ببيانٍ مفصلٍ عن أفعالي
ناوليني عشبةً برية ودعيني أنصت إلى جوفها
شدّي عليَّ الرِكاب ومرري فوجاً من السائحين
عدِّدي خطاياي على لائحة التسوّقِ ودعيني أشتريها
هل دفعتُكِ للجنون؟
هل رفعتُ سمّاعاتِ أذنكِ
وأدخلتِ فيها صافراتِ إنذارٍ؟
هل فتحتُ البابَ
لطبيبِ الأمراضِ العقليةِ ذي الشاربين
الذي جَرَّكِ خارجاً كعربَةِ يدٍ محمّلةٍ بالذهب؟

هل دفعتُكِ للجنون؟

اكتبي لي من القبر يا آنّا

لستِ سوى رمادٍ

لكن رغم ذاك

ارفعيَ قلمَ الباركر الذي أعطيتكِ إياه

واكتبي لي

اكتبي

١٧ آب

مناسب لزيارة المستشفيات
وللأعمال الخيرية خصّص بعض
الوقت للعناية بصحتك

سأكونُ منزعجةً بالتأكيد
مِن المستشفى. منطقةِ الأجسادِ تلكَ،
حيثُ الأجسادُ الملفوفةُ بالأشرطةِ البلاستيكية
والأجسادُ المحشورةُ في صناديقَ خشبية
أو المستخدمةُ مثلَ الهواتفِ
والأجسادُ المصلوبةُ في العكازات
والأجسادُ التي تلبسُ أكياساً مطاطيَّةً بين أفخاذها
والأجسادُ التي تتقيأ عصاراتِها مثل سوائلِ التنظيف
هنا في هذا المنزلِ
ثمة أجسادٌ أخرى.
كلما رأيتُ طفلاً في السادسة
يسبحُ في حوضِ سباحتِنا

صوتٌ في داخلي يقولُ ما لا يُقال.
هيه يوماً ما ستصبحُ عجوزاً وذاوياً
وسيُدخِلونَ في أنفكَ الأنابيبَ لتشربَ طعامَك
يوماً ما ستعودُ القهقرى، ستنغلقُ كعلبةِ أحذيةٍ
وستُلعَنُ وأنت تشق الطريق إلى الموت وأقدامك أولاً

هنا، في هذا المستشفى أقولُ.
ذاكَ ليس جسدي ليسَ جسدي
لستُ هنا لأراجعَ الأطباءَ
كي يقرؤوني كوصفةِ طبيخ
لا أنا فتاةُ زهرةِ الربيعِ
الطائرةِ في الريح كقطعةٍ من الشمس
في الردهة رقم ٧ ثمةَ زهراتُ ربيعٍ
من زبدةٍ ولآلئَ
لكنْ جوارَ رجلٍ أعمى لا يقدرُ إلا
على أكلِ التويجاتِ والعدِّ إلى العشرة
والممرضاتُ من حولهِ
يلعبنَ نطَّ الحبالِ، ويرتجِفنَ
كلما ترجرجتْ عيناهُ كالزئبق

ثم يرقُصنَ من مريضٍ لمريضٍ لمريض
وينثرنَ كؤوس دواءٍ ورقِيَة صغيرة
ويلعبنَ لعبةَ الرمي والإمساكِ
بزجاجاتِ الحُقَن المخدِّرةِ
وهنَّ ينتظرنَ حادثةً جديدة
أجسادٌ مجبولةٌ من مواد مصنَّعة
أجسادٌ مقمَّطةٌ كالدُمى
أزورُها وأتملقُّها
وكلُّ ما تفعلُهُ هو الهمهمةُ
مثلَ الحاسباتِ التي
تحسبُ ضرائبَنا دولاراً بعد آخر
كلُّ جسدٍ في حاويتِه
يضع الجرّاحُ صمغَهُ
ويُحشَر كلُّ جسدٍ
في علبةِ آيس كريمِهِ
ويُخاطُ ثانيةً
لأجلِ رحلةِ الرجوعِ الطويلة



١٢
فُروغ فُرَّخزاد
١٩٣٥ ١٩٦٧

فُروغ فُرَّخزاد شاعرة ومخرجة سينمائية إيرانية تُعدُّ في نظر الكثير من النقاد أهم شاعرة إيرانية في القرن العشرين وواحدة من أهم المبدعين والمجددين في فضاء الشعر الإيراني. ولدت في طهران لأبٍ مثقفٍ ومحافظ وصل إلى رتبة عقيدٍ في الجيش الملكي، وأكملت دراستها المتوسطة ثم التحقت بمعهد للفنون اليدوية لتعلم الرسم وتصميم الأزياء دفعها ضيقها بالجو المتزمت المحيط بها إلى نشدان التحرر بزواجها وهي في سن السادسة عشرة من قريبها رسام الكاريكاتير برويز شاهبور وانتقلت معه إلى الأهواز حيث أنجبت ابنها الوحيد كاميار غير أن زواجها انتهى بالطلاق بعد عامين لتعود إلى بيت أبيها بعد أن حرمتها المحكمة من حضانة ابنها الأمر الذي ترك أثراً بالغاً على نفسيتها وشعرها

في عام ١٩٥٥ نشرت أولى مجموعاتها الشعرية الأسيرة الذي ضم ٤٤ قصيدة تتناول في أغلبها موضوعة الحب بأسلوب

تميز بشجاعة وبوحٍ قل نظيرهما في ذلك العصر وفي مجتمع محافظ كمجتمعها خصوصاً أنها صادرة من شابة مطلقة تحاول التمرد على القيود الاجتماعية وتحقق ذاتها كإنسانةٍ ومبدعة، الأمر الذي أثار ضجة شديدةً حولها تراوحت بين الإعجاب والشجب

في عام ١٩٥٨ سافرت إلى أوربا حيث التقت الكاتب والمخرج إبراهيم كولستان الذي شجعها على شق طريقها المستقل وأدخلها إلى عالم السينما ثم أصدرت مجموعتين هما عصيان و الجدار التي أهدتها إلى زوجها السابق قبل أن تنتقل إلى تبريز عام ١٩٦٢ لتخرج فلمها المنزلُ أسود الذي حاز على عدة جوائز عالمية ويدور حول حياة المصابين بالجذام وخلال إقامتها القصيرة بتبريز تعرفت على الطفل حسين منصوري الذي أصيب والداه بهذا المرض فتبنته وحملته معها إلى منزل أمها بطهران لتعوض معه بعض إحساسها بالأمومة الذي خسرته بإبعادها عن طفلها

في عام ١٩٦٣ أصدرت مجموعتها ولادة أخرى الذي وصل فيه شعرها إلى قمة النضج والتعقيد وفي العام نفسه أصدرت اليونسكو فيلماً عنها مدته ثلاثون دقيقة

وشاءت سخرية الأقدار أن تموت هذه الشاعرة الشابة التي طالما تألمت من الجدران والأسوار والقيود بسبب جدارٍ لا غير. فقد حاولت وهي تقود سيارتها أن تتفادى الاصطدام بباصٍ مدرسي فاصطدمت بجدارٍ حجري وفارقت الحياة قبل وصولها المستشفى

صدرت مجموعتها الأخيرة فلنؤمن بحلول البرد بعد وفاتها وعدت واحدة من أفضل الأعمال الشعرية في تاريخ الأدب الإيراني الحديث أخرج ناصر سفريان ثلاثة أفلام عن حياتها، كما أخرج عباس كيارستمي عام ١٩٩ فيلماً اقتبس عنوانه من قصيدتها الشهيرة ستأخذنا الريح فاز بالعديد من الجوائز العالمية، وترجمت أعمالها إلى اللغات العربية والانكليزية والفرنسية والايطالية والتركية والآذرية ولغات أخرى. كما حظيت باهتمامٍ متجدد من وسائل الإعلام إثر اغتيال شقيقها الشاعر والمغني والسياسي المعارض فريدون فرغزاد في ألمانيا عام ١٩٩٢

هديـــة

أتحدثُ من تخومِ الليلِ
أتحدثُ من نهاياتِ الظلُمةِ
ومن آخرةِ الليلِ   أتحدث

إن جئتَ لبيتي
فاجلب لي يا حبيب
قنديلاً
وشُبّاكاً أنظر منه
إلى زحمةِ الزقاقِ السعيد

الطائر لم يكن غير طائر

الطائر قال يا لها من رائحةٍ
يا لها من شمس
قد عاد الربيع
وسأرحلُ باحثاً عن رفيقةٍ
وحلّقَ الطائر غادرَ الشرفةَ
طارَ مثلَ خبرٍ ومضى
صغيرٌ هو الطائر
الطائر لا يفكر
الطائر لا يقرأ الصحف
الطائر لا تثقلهُ الديونُ
الطائرُ لا يعرفُ الناسَ
الطائر يحلّقُ في الريحِ
وفوق مصابيحِ المرور
وفي أعالي الغفلةِ

ويجرِّبُ في جنون

لحظاتِ الزُرقةِ

الطائر

لم يكن غيرَ طائر

سأحَيّي الشمس من جديد

سأُحَيّي الشمسَ مِن جديد
سأحيي الجداولَ التي جرتْ في عروقي
والغيومَ التي كانتَ آماليَ الطوال
والكهولةَ الموجِعةَ
لأشجارِ الحَورِ التي
رافقتني في فصولِ الجفاف
ورفوف الغربانِ التي
دأبَتْ على إهدائي
عطرَ الحقولِ الليلي
وأمّيَ التي
أمضت حياتها داخلَ المرآةِ
وحملَتْ صورتي عند شيخوختي
سأحيّي من جديد
الأرضَ التي تملأُ البذورُ الخضرُ
جوفَها المتّقَد

بشهوةِ تكراري
قادمةٌ أنا قادمةٌ أنا قادمة
بضفائري. امتدادَ الروائح
التي ترقدُ تحتَ الأديم
بعيوني. تجاربُ الظلامِ الشديدة
بالباقاتِ التي قطفتُها
من البريةِ التي خلفَ هذه الأسوار
سآتي سآتي سآتي
وسوفَ تمتلئُ العتباتُ بالحبِّ
وأنا مِن تلكمِ العتباتِ
سأحييَ من جديدِ
كلَّ العاشقينَ
والفتاةَ التي
لمّا تزل هناك
واقفةً عند العتبةِ التي
تفيضُ بالحبِّ
سأحييهم من جديد

حبيبي

حبيبي
بجسدِهِ العاريِ الجَسور
ينتصبُ كالموتِ
على ساقيهِ الباسلتينِ
وعلى محيّاهِ الصلبِ
خطوطٌ مائلةٌ لا قرارَ لها
رسمتها ذراعاهُ المتمردتان
حبيبي
تظنُهُ من نسلِ قبيلةٍ منسيّةٍ
تظنُ في قرارِ عينيهِ
تترياً يكمنُ أبداً لفارسٍ عابر
تظنُ في برقِ أسنانهِ الناضرة
بربرياً مسكوناً بدمِ الطرائدِ السخين
حبيبي كالطبيعةِ
في قضائِها المحتّمِ الصريح

وفي هزيمتي
يؤكدُ القانونَ الصادقَ للقوَّة
حبيبي حرٌ حتى الجنون
مثل غريزةٍ لم تُمَس
في عمقِ جزيرةٍ غير مأهولة
إنه ينظف حذاءَهُ من غبارِ الشوارعِ
بخِرقٍ من خيامٍ مجنونة
حبيبي
مثل إلهِ في معبدٍ نيبالي
تظنه غريباً وحيداً
منذ ابتداءِ الوجود
حبيبي
رجلٌ من قرونٍ مضت
لم يزل يتذكرُ جوهرَ الجمالِ الأوَّل
أبداً ينشرُ من حولهِ،
مثل عطرِ الطفولةِ،
خاطراتٍ تضجُّ بالبراءة
حبيبي كأغنيةٍ عذبةٍ ينشدها العَوامُ
تطفحُ بالخشونةِ والعُري

ويُخلِصُ العشقَ
لذراتِ الحياةِ
وذراتِ التّرابِ
وأحزانِ البشر
الأحزانَ النقيّة
ويُخلِصُ الحبَّ
لطريقٍ في جنينةٍ قرويةٍ
لشجرةٍ
لعلبةٍ من المثلجات
لرتيمةٍ من قماش
حبيبي رجلٌ ساذَجٌ
رجلٌ ساذجٌ أُخفيهِ
كآخرِ علامةٍ على دينٍ غريبٍ
في أرضنا العجيبة المُبتَلاة
أخفيه في أحراشِ صدري الدافئة

المـــوج

في عينيَ أنتَ موجةٌ
نافدةُ الصبرِ عنيدةٌ هادرة
تحملُ في كل لحظةٍ
تزحفُ فيها نحو الريح
ألفَ أمنيةٍ دفينةَ
أنتَ موجٌ
أنتَ موجٌ وبينك بحرُ الحسرةِ
وألوانُ آفاقِ الغدِ الشعثاءَ
تبصرُ نظراتك المغبرَة
أنتَ دائمُ العراكِ
أنتَ لا تعرفُ السكونَ
أنتَ دائمُ الفرارِ من نفسك
أنت ذلك الغيمُ الأزرقُ المضطرب

ماذا سيحدثُ يا إلهي
لو جعلْتَني ساحلاً بعيداً
لأفتحَ ذراعي ذاتَ ليلةٍ
وأحتويكَ أحتويكَ أحتويك

الطيــورُ تمــوت

قلبي يملؤه الغمُّ

قلبي يملؤه الغمُّ

سأذهبُ إلى الشرفةِ

وأفركُ أصابعي

بأديمِ الليلِ الصقيل

مصابيحُ الألفةِ انطفأت

مصابيحُ الألفةِ انطفأت

لن يأخذَ أحدٌ بيدي

ليعرّفَني إلى الشمسِ

لن يأخذني أحدٌ

لأكونَ ضيفةً على العصافير

ضعِ الطيرانَ في خاطرِكَ

فالطيورُ تموتُ   الطيورُ تُحتَضَر

الدُمية الميكانيكية

يمكنكِ أن تظلّي صامتةً
أكثرَ مما تفعلينَ الآن
يمكنك أن تظلي لساعاتٍ طوال
تحدقينَ بأعينٍ ساكنةٍ كأعينِ الميتين
في دخانِ سيجارةٍ
أو شكلِ فنجانٍ
أو زهرةٍ شاحبةٍ فوق سجّادةٍ
أو خطوطٍ وهميةٍ فوقَ جدار
يمكنكِ، بأصابعَ يابسةٍ،
أن تفرجي الستارةَ
وتراقبي الزقاقَ الذي يهمي عليهِ المطر،
والطفلَ الممسكَ بطائرته الورقية الملونة
واقفاً تحت الطاق،
والعربةَ المضعضَعة
إذ تغادرُ الساحةَ الخاوية

في عجالةِ وضجيج
يمكنكِ أن تظلي دون حراكٍ في زاوية الستارة
خرساءَ   عمياء
يمكنكِ أن تصرخي
بصوتٍ جدّ مزيَّفٍ   جدّ غريب
أنا أحِبُّ
يمكنكِ أن ترتمي بين ذراعي رجلٍ
امرأةً جميلةً معافاة
بجسدٍ مثل غطاءِ مائدةٍ جلدي
وثديين صلبين ممتلئَين
يمكنكِ أن تلوّثي براءةَ الحبِّ
في سريرِ مجنونٍ أو وغدٍ أو سكّير
يمكنكِ أن تسخري بفطنةٍ
من كلِّ لغزٍ عجيب
يمكنك أن تَحلّي كلماتٍ متقاطعةً
وأن تُسَرّي باكتشافِ الإجابةِ التافهة
الإجابةِ التافهة   نعم   خمسة أحرفٍ أو ستة
يمكنكِ أن تسلخي عمركِ راكعةً، محنيّةَ الرأسِ
تحتَ أقدامِ ضريحٍ بارد

يمكنكِ أن تريَ اللهَ في قبرٍ مجهول
يمكنكِ أن تجدي الإيمانَ في قطعةِ نقدٍ تافهة
يمكنكِ أن تتآكلي في حجراتِ مسجدٍ
كقارئِ أدعيةِ عجوز
يمكنكِ أن تكوني محايدةً كالصفرِ
في الجمعِ والطرحِ والضرب
يمكنكِ أن تتخيلي عينيكِ في شرنقةِ حزنِهما
زرَّينِ حائلَين فوق حذاءٍ قديم
يمكنكِ أن تجفّي كالماءِ في حفرتكِ الصغيرة
يمكنك أن تُخفي في خجلٍ
في قعرِ صدركِ
جمالَ لحظةٍ
كلقطةٍ خرقاءَ مضحِكة
يمكنكِ أن تعلّقي
في الإطارِ الفارغِ المُضنى ليومٍ ما
صورةَ محكومٍ أو مصلوبٍ أو مغلوب
يمكنكِ أن تُغطّي ثقوبَ الجدرانِ بالأقنعة
يمكنكِ أن تخلطي بين صورٍ أكثر خواءً
يمكنكِ أن تكوني

مثلَ دميةٍ ميكانيكيةٍ بنوابضَ تُملأ كالساعةِ
وتنظري إلى العالمِ
بعينينِ من زجاجٍ
وترقدي سنواتٍ وسنواتٍ
بين الخيوطِ والخرزِ الملوّنة
في علبةٍ مبطّنةٍ باللبادِ
بجسدٍ محشوٍّ بالقشِّ
يمكنكِ أن تصيحي دونما سبب
مع كلِّ ضغطةٍ من يدٍ فاسقةٍ
كم أنا سعيدة.

الجمعـــة

جمعةٌ مهجورة

جمعةٌ مثلَ دروبٍ قديمةٍ يملأها الغمُّ

جمعةُ الأفكارِ السقيمةِ الكَسول

جمعةُ التثاؤبِ المترهِّلِ المريض

جمعةُ الاستسلامِ

جمعةُ الخواءِ منزلٌ مهجورٌ

منزلٌ بليدٌ

منزلٌ أوصِدَتْ أبوابُهُ

بوجهِ الشبيبةِ

منزلُ الظُلمةِ وأشباحِ الشمسِ

منزلُ الوحشةِ والشؤمِ والتردد

منزلُ الستائرِ والمجلَّداتِ والدواليب والصوَر

كم كانت ساكنةً طافحةً بالغرور

حياتي التي تنتهي مثلَ نهرٍ غريب
في قلبِ هذه الجُمَعِ الساكتةِ المهجورة
في قلبِ هذي المنازلِ الكئيبةِ الخاوية
كم كانت هادئةً
طافحةً بالغُرور

أسـيرة

أريدُكَ، غيرَ أنني أدري
أن قلبي لن ينعَمَ يوماً بعناقِكَ
أنتَ سماءٌ مشرقةٌ صافية
وأنا في ركنِ هذا القفص
طائر أسير
من خلفِ هذه القضبانِ الباردةِ المعتِمة
أرسل صوبَكَ نظراتي المندهشةَ الحائرة
وأخال أن يداً قد تمتدُّ إليَّ
فأفردُ على حينِ غرةٍ
جناحيَّ نحوَكَ
ويجولُ في خاطري أنني في لحظةِ غفلةٍ
قد أطيرُ من هذا السجنِ الأخرس
وأضحكُ في عينِ سَجّاني
وأبدأُ من جديدٍ حياتي بقُربِك
أفكِّرُ في هذا وأنا أدري

أنني لا أملكُ الجرأةَ
كي أغادرَ هذا القفص
وأنني، حتى لو رضيَ سجّاني
لن أصادفَ نسمةً تُعينني على التحليق
في كل صباحٍ تضحكُ بوجهي
من خلفِ هذه القضبان
نظراتُ طفلٍ
وحينَ أشرعُ في نشيدٍ بهيج
تتقدمُ شفتاهُ نحوي. وتمنحني قبلةً
لو أنني، أيتها السماءُ، أردتُ يوماً
أن أطيرَ من هذا القفصِ الأخرس
ما الذي سأقولُ للصغيرِ وعينيهِ الباكيتين؟
أأقولُ سامِحْني؛ فأنا طيرٌ أسير
أنا شمعةٌ تحرقُ قلبَها لتضيءَ أطلالاً
وإذا ما اختارتِ الظُلمةَ البكماء
دمَّرتْ عشّاً

ستأخُذُنا الريــحُ

في ليليَ الصغير   وا حسرتا
للريحِ موعدٌ معَ أوراق الشجر
في ليليَ الصغير
تمزِّقُني ضرباتُ قلبيَ الخائفةُ
أَنصِتْ
هل تسمعُ حفيفَ الظلام؟

مثل غريبةٍ   أنظرُ لنجميَ السعيد
مُدمنةٌ أنا   على يأسي
أَنصِتْ
هل تسمعُ حفيفَ الظلام؟
ثمةَ أمرٌ ما   يحدثُ الساعةَ في الليلِ
فالقمرُ مضطربٌ وقرمزي
وفوقَ هذا السقفِ الذي
يخشى السقوط

بينَ لحظةٍ وأخرى

تحتشد الغيومُ   كأسرابٍ من النائحات

ينتظرنَ المطرَ

ليجهشنَ بالعويل

لحظةٌ   ثم لا شيء

وخلفَ هذي النافذة

يرتجفُ الليلُ

والأرضُ تغادرُ دورتَها

خلفَ هذي النافذة

يراقبنا المجهولُ. أنتَ وأنا

أيها الأخضرُ

من رأسكِ حتى الأخمصين

أرح يديكَ الشبيهتينِ بذكرياتٍ موجعةٍ

في يديَّ العاشقتين

وضعْ شفتيكَ الدافئتين

كإحساسِنا بالوجود

فوق شفتيَّ العاشقتين

فالريحُ ستأخُذُنا

ستأخذنا   الريح

المحتوى

الصفحة

الصفحة

الصفحة

د. ماجد الحيدر

- قاص وشاعر ومترجم.
- ولد في بغداد عام ١٩٦٠.
- تخرج من كلية طب الأسنان/ بغداد ١٩٨٤.
- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق واتحاد الأدباء الكرد.

من أعماله المنشورة

١- النهار الأخير (مجموعة شعرية) – بغداد

- في ظل ليمونة (مجموعة قصصية) – بغداد

٣- ماذا يأكل الأغنياء (مجموعة قصصية) – بغداد ٢٠٠

- مزامير راكوم الدهماء وقصائد أخرى (مجموعة شعرية) – بغداد ٢٠٠

٥- نشيد الحرية وقصائد أخرى لشيللي(ترجمة) – دار الشؤون الثقافية – بغداد ٢٠٠٤

- الإيدز بين المناعة والفيروس – دار الشؤون الثقافية – بغداد ٢٠٠٤
- عبور الحاجز – قصائد من الشعر العالمي (ترجمة) – دار المأمون – بغداد ٢٠٠٧

٨- ناجون بالمصادفة (مجموعة شعرية) – دار سبيريز – دهوك ٢٠٠٩

- ضحك كالبكاء (كتابات ساخرة) – منشورات ملتقى الأهالي – بغداد

١٠- الثلج والنار والأغنيات - مختارات من شعر مؤيد طيب (ترجمة) - دار الثقافة الكردية - بغداد

١١- مالاني (قصص قصيرة بالكردية) - منشورات اتحاد الأدباء الكرد - دهوك ٢٠١٢

12- The Psalms of Rakoom the Black and Other Poems-Proclaim Press-Pittsburgh-P.A.-USA

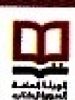
13- Yes, It's Me- Selected Poems-Union of Kurd Writers-Duhok-2014

١٤- في الذكرى السنوية لرحيلي (قصص قصيرة) - وزارة الثقافة - بغداد- ٢٠١٤.

الطبعة الأولى /٢٠١٦

عدد الطبع ٥٠٠ نسخة





www.syrbook. gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٦م

سعر النسخة ١٠٠٠ ل.س أو ما يعادلها